المشرق

السنة السابعة والاربعون

ايار – حزيران ١٩٥٣

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانتهِ لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

ويليهِ

قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرها لاول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

المقدمة

لا يزال تاريخ البطاركة الملكيين في الاسلام في كراسيهم الثلاثة انطاكية والاسكندرية واورشليم غامضاً مجهولاً في اكثر ازمانه المتقدمة لعلة من صرف النظر اليه او لنزارة الآثار التي انتهت الينا منه ونجت من نيران المحن

والحروب. ولا نعلم انه قام من الكتبة الملكيين من اهتم بجمع اخباره الدينية والدنيوية وحفظها في كتاب خاص كما فعل النساطرة في كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان. واليعاقبة في تواريخ البطريرك ديونيسيوس التلمحري وابن العبري و ميخايل في السريانية. والاقباط في كتاب سِيَر البطاركة لساويرس بن مقفع. وغاية ما بلغنا من آثار الملكيين في اللسانين الرومي والعربي قصص من اشتهر من النساك والحبساء والشهداء والقديسين في مجاميع اطلقوا عليها اسم السنكسارات Συναξάριον وهي التي دعاها الاقباط الدلالات لدلالتها على ايام الاعياد والتذكارات وعرفها المتأخرون من الملكيين باسم الدولاب. ولكن هذه المجاميع لا تخلو من المبالغة والافراط حبًا للترغيب والتهويل ولا تبنى على مثلها حقيقة قاطعة لاثبات ما كان في الواقع الصحيح. واهم ما حفظه الرهبان والنساخ الملكيون في اللغة السريانية اصداء ونتف من الاخبار والسماعات قيدوها في تضاعيف مخطوطات لهم وتفوهها على الاديار الشامية وبقي منها في دير السيدة في صيدنايا من ضاحية دمشق بقية صالحة شاهدها بعض الزوار في اوائل القرن الثامن عشر وهي التي امر البطريرك الرومي الارثذكسي ايروثيوس (١٨٥١ — ١٨٨٥) باحراقها وتعمية آثارها «فخبزوا عليها خبزتين». وكنا اول من نعى فاجعة التاريخ بها وقبّح فظيعة اتلافها وندب فداحة خسارتها لمعرفتنا حق المعرفة بمطالعتنا بعض المخطوطات التي أغفلت منها ما كان في هوامشها وحواشيها والذيول المعلقة عليها باقلام كتابها وقرائها من الفوائد والفرائد التي يُعوَّل على نظائرها لتعريف ما تقدم من السِيَر والاعمار وتمييز ما حسُن او قبح من الاعمال والاخبار.

وقد نبّه المسعودي مؤلف مروج الذهب على قلة ما وقف عليه في زمانه من تواريخ الروم الملكية. وجاء من بعده سعيد بن بطريق بطريرك الاسكندرية واقتصر في كتابه نظم الجوهر على تدوين ما علمه من الحوادث والكوائن السالفة باوجز عبارة وايسر شرح فلم يتجاوز المتداول منها في زمانه ولا استخرج شيئًا مما كان منسيًا دفينًا في خبايا الاديار والكنائس. ولعله كتم عمدًا بعض ما كان يعلمه منها تحرزًا من النقمة او تقيّة من السلطان كما فعل ابن العبري في تاريخه العربي «مختصر الدول» من الاجتزاء بايراد ما لا يتوجّه عليه من اجله

انكار ولا يسوء قراءه العرب خلافاً لتاريخ الكنسي الذي كتبه بالسريانية وتوسع فيه في الرواية لانه أمن اطلاع من كان يخشاه من الغرباء عن لغته .
وخلف سعيدَ بن بطريق نسيبه يحيي بن سعيد بن يحيي الانطاكي. وهو سيد من أرّخ ووصف فاتى بما لم يأتِ به احد من قبل وافاض في رواية وقائع الدول ونعوت الرجال ونقل من اخبار الروم والروس والبلغر والكرج ما يشبه ان يكون استمد بعضه من سجلات زمانه ودفاتر الدواوين السلطانية وانفرد به عن كل من تقدمه او اتى بعده من المؤرخين . ومن الشقاء وسوء حظ العلم ان يكون اقتصر في تاريخه على كتابة ذيل فقط على تاريخ سعيد بن بطريق دون ان يتناوله منذ البدء ويُتمّ ما كان ناقصاً فيه ويسدّد اوهامه ويسدّ كل فراغ فيه كما عنّ له لاول وهلة كما قال. ولا نعلم ان احداً مشى على سُنّته في الاطلاع والتحقيق واحاط نظيره باخبار الشرق وحوادث الاعاجم من مزاحمي الروم البزنطيين في المغرب. ثم ساءت احوال النصارى بعد وفاته وخيّم الذل والشقاء عليهم وزهد الرهبان ورجال الدين في التدوين والتأليف فلم تنصرف عناية ناقل او ناسخ منهم الى الفحص عن ماضي الكراسي البطريركية الثلاثة وجمع ما تبدد من انبائها وسيَرها بالاستناد الى ما كان خبيئاً في خزائن الكنائس والاديار خلا الشماس بولس الزعيم الحلبي في منتصف القرن السابع عشر وهو ابن البطريرك مكاريوس ورفيقه في اسفاره وتنقلاته وراوية ارآئه وانبائه وقد شارك والده في جميع ما عرّبه من الرومية او ألّفه في العربية من التواريخ والاخبار .

ومن اعجب فضائل هذا الشماس انه كان حيثما حلّ والى اين رحل لا يكلّ ولا يني في السؤال والتفتيش عن الكتابات والمخطوطات المحفوظة في زمانه ويستعين بجاه والده لاستعارتها وينسخ منها بقلمه الرشيق كل ما يجد فيه فائدة او غرابة من تواريخ الشام وانطاكية ووطنه حلب خصوصاً ويتطلب المشهور والمكتوم من قصص القديسين وسيَر الجبابرة. والنساك مهما طالت واملّت كسيرة مار سمعان العمودي الحلبي حتى اجتمع له من هذه المقتبسات والمستعارات طائفة جليلة ساقها في نوبتها وحلها في مجلد له كبير وقع الينا بخطه الجميل الجلي وفيه لسوء الحظ بعض الخروم اهمها الصفحات الاولى والاخيرة منها وبسقوطها فاتنا معرفة الاسم الصحيح الذي اطلقه على هذه السفينة التاريخية وغاب عنا نص

الفاتحة التي صدرها بها ، ويظهر من مطالعة مضامين كتابه انه توخى عامداً مختاراً جمع اخبار انطاكية وبطاركتها ورجالها وهو ما رجّح عندنا تسمية هذا المجموع « تاريخ انطاكية » بينما تكشف لنا الايام اسمه الحقيقي .

ومن مزايا خطته في الجمع والنقل انه ضم الى كل خبر من الاخبار المروية بحسب السنين كل ما وجده في معناها في المخطوطات الاسلامية والنصرانية والرومية التي كانت لديه او ما عرّبه له المترجم من المرسلين الفرنج الذين كانوا في ايامه بحلب . وذكر في كل مرة اسماءها واسماء مؤلفيها لتسهل على القارئ مقابلتها ومعارضتها ويطلع على كل ما قيل فيها . وألحق بها ايضاً كل ما وقف عليه مما يتعلق بها او يكون في معناها من سيرة نادرة او نسخة يتيمة من كتاب عزيز الوجود ينقلها بأسرها دون ان تهوله كثرة الفصول وتعدد الصفحات مع الاشارة في الهامش الى ما في الاصل احياناً من حذف او اختصار فكل ما في مجموعه هو من اقوال غيره وليس له فيه قول خاص سوى ما استعاره مرة بعد اخرى لتكملة الاخبار او مقابلتها من تاريخ والده وتاريخه المسمى بالدر المنظوم في اخبار ملوك الروم وهو معرب من الرومية .

ولا يخفى عن كل من مارس قراءة المخطوطات ما في خطوط النساخ غالباً من التحريف وسوء الرسم لسوء الفهم والتباس المعنى على الناقل لقلة ضبط الكلم واهمال النقط والاعجام بحيث يصعب احياناً على العالم نفسه الاهتداء الى الاصل وردّه الى نصابه فكيف بمن كان كالشماس قليل التطلع على قواعد اللغة واسرارها ولذلك لا يخلو نقل له من بعض تصحيف وخطإ في القراءة والنسخ ولا سيما في ما حار نظره فيه من رسوم الحروف التي قرضت بعضها الأرضة او بدلتها اقلام جهلة النساخ او ما كان بالياً او ممحوّاً اكل الدهر عليه وشرب من الاجزاء النادرة اليتيمة كسيرة مقتل البطريرك خريستوفورس الشهيد التي استمد منها يحيى بن سعيد في الذيل ما لخصه في جملة اخبار سيف الدولة .

وفي هذه السفينة الحلبية قدّر لنا الحظ الظفر برواية قديمة من الذيل الحقه يحيى بن سعيد الانطاكي بتاريخ البطريرك الاسكندري افتيشيوس المشهور بسعيد بن بطريق كما ذكرناه آنفاً وهو الذي طبعه سنة ١٩٠٦ الاب لويس شيخو باسمه واسم البارون كارادڤو وباسمنا بالاستناد الى نسخنا الثلاث ولكنه رحمه الله

انفرد بالتمثيل والطبع . وكان على ما اتصف به من الحفظ وسعة الاطلاع لا يكاد يذعن لرأي سواه ثقة بنفسه فجاءت الطبعة بعيدة عن الكمال لا تتبرأ من العيوب التي تجلّ عنها منزلة يحيى بن سعيد في التحقيق والفصاحة . ولذلك لا تزال الحاجة داعية الى اعادة طبع الذيل واعمال الروية في ما اضطرب من الفاظه لتصحيحها وهو اجلّ تاريخ للنصرانية في الاسلام وقل جدًّا ان يضاهيه في لطافته وجدّه تاريخ آخر في معناه في الشرق .

واهم ما علقت بـه يدنا من هذه اللُّقَط الحلبية نص استشهاد البطريرك خريستوفورس في انطاكية ومقتله غدرًا بيد اعداء الامير سيف الدولة الحمداني حسدًا له لمكانته من الامير وقبول الامير شفاعته في بعض هؤلاء الاعداء وهي من انشاء احد شهود البطريرك العيانيين ممن نشأ في انطاكية وعرفه وهو صبي واسمه ابراهيم بن يوحنا الأبرُطُسبَتار πρώτος σπαθάριος وهذا اللقب من القاب الروم البيزنطيين .

وكان ابرهيم بن يوحنا احد كتاب الروم الملكيين في القرن العاشر ولد في انطاكية ويغلب على الظن انه كان من اصل رومي لانه كان يكتب دائمًا بالرومية ويجيدها ثم يعرّب بنفسه ما يكتبه تعريبًا تدل بعض لهجته على انه لا يخلو تارة من الفصاحة ولذلك اورده يحيى بن سعيد بلفظه دون تغيير . ثم يضعف تارة اخرى او يتبهم في مواضع يغلب عليها الاسلوب الرومي فلا يجد في محفوظه من اللغة العربية ما يؤدي به المعنى بما يرادفه من اوضاعها وتعابيرهـا الصحيحة فيأتي كلامه هجينًا يصعب جدًّا فهمه لاخراجه اياه في قالب اعجمي . ولا شك ان لبعض النساخ يـدًا في تحريف الاصل زاد في الطين بلة وافقدنا جانبًا من فوائده التاريخية .

ولابرهيم بن يوحنا تعريبات شتى لبعض اقوال اباء الكنيسة وهي التي تدعى عندهم ميامر منها ميمران الثاني عشر والثالث عشر لمار غريغوريوس الثاولوغس في مخطوط رقم ١٤٢ من مخطوطات بورجيا في خزانة الفاتيكان (الورقة ١٠١) وفي الخزانة نفسها مخطوط آخر يتضمن ميامر مار افرام (الورقة ١٧٢—١٨٤) وفيه مديح تاله القديس غريغوريوس اسقف نيس في مار افرام ختم بهذه الحاشية :

«نقل هذا المديح الابرطسبتيار الكاتب الملكي ابرهيم بن يوحنا الانطاكي واملاه من كتبه بالعربية من نسخة يونانية » ومن هذا المديح ايضاً نسخة في خزانة اكسفرد في اواخر المجموع Marsh 477 .

ويستدل من حاشية مخطوط الفاتيكان ان لقب الابرطسبتيار لم يكن ليوحنا والد ابرهيم كما يُظن بل لابنه ابرهيم وسيأتي من اقواله في سيرة البطريرك الشهيد ما يزيد نفسه تعريفاً .وفي ختامها ايضاً تعداد ما كتبه كذلك من سِيَر بعض رجال الدين في ما خلا استشهاد البطريرك خريستوفورس.

ولما بلغ الشماس بولس من ذيل يحيى بن سعيد خبر خريستوفورس اتبعه على الاثر بنص الاصل الذي استند اليه يحيى في حكاية هذا الخبر من تعريب ابرهيم ابن يوحنا وكان قد وُفِّق للعثور عليه في ابتداء بطريركية والده وهذه صورة ما قدمه في فاتحته قال :

« اعلم يا اخي اني في ابتداء بطركية والدي وجدت هذا الخبر العجيب المفرد في اخر كتاب قديم جدا بخط سقيم غير منقوط واكثر كلامه ممحي ومؤكل من العث والسوس . ولاجل ذلك فيه بعض امكنة فاضية ولم اجد له نسخة ثانية في كل بلاد العربية وديورتها وكنائسها فرأيت من الموجبات ايراده هنا في هذا المحل لانه نفيس جداً » .

ومن الغريب ان الشماس لم يخطر له قط ان يزور دير طورسينا في كل مدة بطريركية والده ولا يتبين لنا سبب هذا الاهمال ولا ريب انه لو تهيأ له هذا السفر لعاد من الدير وحقائبه ملأى من النوادر والنفائس وبينها نسخة اخرى من خبر البطريرك فيما بلغنا .

وكنا منذ خمس عشرة سنة لما وقع نظرنا على هذا الخبر الفرد وتأملنا ما اشتمل عليه من الاقوال والطرائف ادركنا فوراً ما له من الاهمية القصوى في تاريخ النصرانية عموماً والروم الملكيين خصوصاً وهممنا بنشره لاول وهلة ولكن اعترضنا في قراءته من التحريف والتشويه والغموض في المتن الذي تنازعه القِدَم والعث ولم يبقَ منه احياناً الا اشباح الحروف ما لا يقوى على اصلاحه وحلّ احاجيه وارجاعه الى ثوبه الاول الا من رُزق الكهانة او النبوة . فطويناه على غرّه املاً ان نتفرغ لتأمله واعمال النظر فيه على هيئتنا او ان ترزقنا السعادة اكتشاف نسخة اخرى في طوافنا على الخزائن العربية في الغرب والشرق ولكن

خاب رجاؤنا من هذا القبيل وعدنا من كل هذه الزيارات اشد يأساً وابعد طمعاً في وجود ضالتنا. وعقدنا النية حينئذٍ على ان ننشر ما لدينا على علاته وعيوبه. ثم بلغنا ان في دير طورسينا نسخة منه[1] فعزمنا للحال ان نرحل اليه متى امكنتنا الفرصة . واردنا قبلاً ان نحتاط لزيارة الدير برخصة من رئيس الاساقفة فيه لنتمكن من قضاء الوقت الكافي لمطالعة ما في خزانة الدير من الفوائد والفرائد وهي لا تزال سرّاً من الاسرار لصعوبة الرحلة الى الطور وتعذر المعيشة فيه الا باذن خاص. ولما توجه منذ ثلاث سنوات الى القاهرة الحبر الكامل كيريوس بطرس كامل مدور المعاون البطريركي التمسنا منه ان يتكرم بالتوسل الى رئيس الدير بالسماح لنا بالزيارة والتفتيش في مخطوطات الدير فاجاب رئيس الاساقفة طلبنا بغاية من اللطف والارتياح واجاب انه لا يقنع بهذه الزيارة بل يلحّ علينا بالمكوث في الدير كل المدة الكافية للاطلاع على ما في خزانته من المخطوطات العربية التي لم يتفرغ احد من الزوار لدرسها والتنويه بما في طيها من الطُرَف والتحف . وكنا وتتنذر بدمشق فاخذنا بالاستعداد للرحلة الى الطور ولكن فاجأنا لسوء الحظ ألم شديد قعد بنا عن المسير فاضطررنا والقلب مفعم من الحسرات الى تجنب هذا الخطر وارجأنا نشر الخبر الذي لدينا الى حين رجوعنا الى نيس . وتبيَّن لنا بعد التروي واطالة المطالعة ان لا بأس من طبع الخبر على عواره لان معظم ما تناوله التحريف والابهام انما هو في الحقيقة من حشو الكلام وفضول المدائح التي اطرأ بها المثنيّ فضائل البطريرك وتقواه وغيرته وكرمه ومحاسن اخلاقه . وان ما التبس فيه من تفصيلها يُدرك بسهولة من جملتها . وصح عندنا ان كل ما عداها من تاريخ حياة البطريرك واعماله ووفاته وما كان في زمانه من الاحداث الجليلة واخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس وشيوع الكنائس الملكية في المدائن ومرو والشاش وروجرد — وهي واسطة العقد وطُرفة الطُرَف . ولا ذكر لها في غير هذا الخبر — باقية على حالها

---

١) بعد كتابة ما سبق وجدنا ذكر خبر مقتل البطريرك خريسطوفورس في المجموع رقم ٤٠٧ من جريدة مخطوطات دير طور سينا (ص ٧٣) *Catalogue of the Arabic Mss in the Convent of S. Catharine Compiled by Margaret Dunlop Gibson.* London, 1894.

وجدتها لم يعترها شيء من النقص والتصحيف ولا تحيّفها بلى ولا سوس وهي جلّ عيون ما في هذا الاثر الفريد الذي خلده لنا فضل الكاتب ابرهيم بن يوحنا الانطاكي واجتهاد الشماس بولس الحلبي .

وبدلًا من سياقة هذا الخبر بحروفه التي بلغتنا ومعمّياتها العديدة رأينا ان نلخص اهم ما ورد فيه من الفوائد ليكون مستندًا يرجع اليه كل راغب في الوقوف على حقيقة تاريخ الروم الملكيين في الاسلام وحافظنا ما استطعنا على كلام المثنى حيث لا خلاف فيه للاصول العربية ولا هجنة عليه من الرومية .

رسالة للجاحظ

نشرها للمرة الاولى شارل بلّا
استاذ في معهد الدراسات الاسلامية في باريس

يتضمن المختار من كلام الجاحظ المحفوظ في مكتبة برلين[1] — المنقولة الان الى توبنجن (Tübingen) — عدة قطع من رسالة او رسائل[2] وجهها الجاحظ إلى شخصية عباسية لا يذكر اسمها غير أنها بلا ريب أبو الوليد محمد بن أحمد بن ابي دؤاد ؛ فيمدح فيها المرسل إليه ووالده القاضي الشهير وأخيرًا الخليفة العباسي المعتصم .

أما هذه النخب فقد جعلها صاحب المجموعة منفصلة عن بعضها ولكن ليس من المستبعد انه اقتبسها من رسالة واحدة ؛ فيدل على ذلك تماسك الاجزاء ووحدة الفكر والتعبير ؛ ومهما كان من أمر فيبدو جليًا ان الاديب الذي قام بتلخيص الرسالة راعه بنوع خاص براعة الجاحظ وفصاحته حتى انتخب ما لا يفيد الا ان ناثرًا نابغًا كان في اوائل القرن الثالث للهجرة يقدر على مبارزة الشعراء في ميدان المديح كما انه اصبح قادرًا على مبارزتهم في ميدان الرثاء[3] والهجاء[4] .

فمن هذا الوجه لا تخلو الرسالة من اهمية ولكنا لو لم نجد فيها اكثر من ذلك لما تكلفنا نشرها ولوضعناها جانبًا — ولو موقتًا —

ومع ذلك فمما يستوقف النظر قول الجاحظ[5] : « إني أيدك الله قد ألفت

---

١) رقم ٥٠٣٣ في فهرست Ahlwardt ؛ لقد فحصنا عن هذه المخطوطة ففصّلنا محتوياتها مقال سيظهر في المجلة الالمانية *Oriens* إن شاء الله —
٢) من ظهر الصفحة ١٧ إلى ظهر الصفحة ٤٦
٣) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في الكاتب المصري ، يونيه ١٩٤٦
٤) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في الكاتب المصري ، شباط ١٩٤٧
٥) ص. ٣٦

كتاباً احتجت الى عرضه عليك واستشارتك فيه » دون أي إشارة الى اسم الكتاب أو بعبارة أصح دون ان يحتفظ صاحب المجموعة بما يوضح هذا القول.

فلحسن الحظ قد أتيح لنا ان نفحص عن مخطوطة اخرى محفوظة في مكتبة داماد ابراهيم باشا[1] فشاهدنا اتفاقاً جزئياً فيما بين آخر النص الاول وبين رسالة من رسائل المجموعة الثانية موسومة بنفي التشبيه ويظهر عند الفحص والتأمل ان أصل النصين واحد وهو رسالة طويلة أرسلها الجاحظ الى ابي الوليد يطلب منه — جوهرياً — المساعدة على « تخليد » كتابه في « الرد على المُشَبِّهة[2] » ؛ فالطلب غارق في مديح متدفق .

هكذا يلوح ان صاحب نسخة برلين تناول الرسالة فاختار ما عساه ان يكون نماذج حية من الفصاحة الجاحظية وأسقط معظم الاعلام والابيات والاشارات إلى حوادث سياسية او دينية بيد ان صاحب المختار الاخر لم يهتم الا بالنصف الثاني فجعله رسالة مستقلة « في نفي التشبيه » ؛ وبفضل تداخل المختارين أمكننا إقامة نص مرضٍ بمكان[3] .

◆

فان اعتبرنا ما ورد من ذكر أبي الوليد وحداثته[4] ومن ذكر المعتصم وخلافته حق لنا القول إن تاريخ الرسالة يتراوح بين سنة ٢١٨ وسنة ٢٢٧ للهجرة ؛ ففي تلك المدة كان الجاحظ ، على ما يخبرنا به المؤرخون ، يتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات ويميل عن منافسه القاضي احمد بن ابي دؤاد: فتناقض رسالتنا هذا الخبر اذ نرى الجاحظ يبذل جهوده للاقتراب الى ابن ابي دؤاد ويمدح ابنه ابا الوليد ويراسله ويحاول تحقيق غرضه بصورة حاذقة

١) رقم ٩٤٩ من وجه الصفحة ١٠٦ الى ظهر الصفحة ١١٢ ؛ راجع مجموع رسائل الجاحظ، ط. Kraus والحاجري ص د — ه.

٢) ضاع هذا الكتاب الوارد ذكره في الحيوان ج ١ ص ٩ ؛ أما رسالتنا فلم تذكر البتة لانها شخصية غير معدة للنشر .

٣) لا شك في ان جميع آثار الجاحظ جديرة بالنشر والبحث غير اننا اقتصرنا على النصف الذي ورد في نسخة داماد ابراهيم باشا .

٤) لا نعرف تاريخ ولادته بل نعلم انه كان نائباً لابيه منذ سنة ٢١٨ فلعله كان حينئذ في العشرين من عمره ؛ راجع L. Massignon في WZKM سنة ١٩٤٨ ، و *Encyclopédie de l'Islam* مادة أحمد .

وذلك انه يغتنم فرصة نادرة هي وضع كتاب في مسألة كلامية لا تهم ابن الزيات بقدر ما تهم قاضي القضاة لانها داخلة في صلاحياته؛ فان ابن ابي دؤاد كان رئيس المحكمة المنشأة بعد ان صار الاعتزال ديناً رسمياً وبصفته هذه كان من واجبه ان يقمع كل مخالفة ويمتحن المتهمين والمرتابين ويكافح النظريات والمذاهب المعادية للعقيدة الرسمية ويقنع اصحاب السنّة — او الحشوية كما يسميهم الجاحظ — اذ كانوا يعارضون المعتزلة في الصفات وخلق القرآن من جهة وفي موقفهم السياسي من جهة اخرى حيث انهم يتعصبون لماوية ويقاومون العباسيين[1].

فنرى الجاحظ — وان لم نعتبره كاتباً رسمياً او شبه رسمي — يؤلف عدة رسائل في هذه المشاكل المهمة منها الرد على المشبّهة ومنها كتاب العرب والموالي اذ كانت مزاعم العجم تزيد في خطورة الحالة السياسية؛ ثم يعرض جميع هذه الكتب — وبالاقل الكتابين المذكورين[2] — على ابي الوليد ويستشيره فيها قائلاً إنه يريد ان يساعد ولاة الامر على تطبيق السياسة العباسية ويضع بين ايديهم جميع الحجج التي يحتاجون اليها؛ وإلى جانب ذلك يرمي الجاحظ الى غاية اخرى تظهر بين السطور وهي أن يدنو الى ارباب العقد والحل فينتفع باحسانهم وصلاتهم.

فلا تكاد تأتي هذه الرسالة بأخبار جديدة ووثائق بديعة عن آراء الجاحظ الفلسفية لكنها تجعلنا نتدرج الى إدراك نفسيته وتصرفه ولولا فيها الا ذلك لكانت جديرة بالنشر

Ch. Pellat

---

١) راجع مقالة حبيب الزيات في المشرق، سنة ١٩٣٨ ص ٤١٠ – ٤١٥ عنوانها التشيع لماوية في عهد العباسيين ورسالة الجاحظ في النابتة (او: في بني امية) وترجمتها التي ستظهر عن قريب في الجزائر إن شاء الله.

٢) النابتة موجهة ايضاً الى ابي الوليد فيخبره فيها المؤلف بانماء كتابه في العرب والموالي.

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

أطال الله بقاءك[٢] وحفظك وأتمّ نعمته عليك وكرامته لك

قد عرفتَ – أكرمك الله – ما كان الناس فيه من القول بالتشبيه والتعاون عليه والمعاداة فيه ، وما كان في ذلك من الاثم الكبير والفرية الفاحشة ، وما كان لأهله من الجماعات الكثيرة والقوّة الظاهرة والسلطان المكين ، مع تقليد العوام ومَيْل السِفلة والطَّغام ؛ وليست للخاصّة قوّة بالعامّة ، ولا للعلية قوّة على الأرذال ؛ وقد قالت الأوائل فيهم وفي الاستعاذة بالله منهم ؛ قال علي بن أبي طالب – رحمة الله عليه – : « نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا وإذا تفرّقوا لم يُعرفوا » ؛ وقال واصل بن عطاء[٣] : « ما اجتمعوا إلّا ضرّوا ، ولا تفرّقوا إلّا نفعوا» ؛ فقيل له : «قد عرفنا مضرّة الاجتماع ، فما منفعة الافتراق ؟» ؛ قال : « يرجع الطيّان إلى تطيينه والحائك إلى حياكته والملّاح إلى مِلاحته والصائغ إلى صياغته وكل إنسان إلى صناعته ، وكل ذلك مَرْفِقٌ للمسلمين ومَعونة للمحتاجين » ؛ وكان عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – إذا نظر إلى الطَغام والحشو[٤] قال : « قبّح الله هذه الوجوه التي لا تُعرف إلّا عند الشر ! » ؛ وقال الخُرَيْمي[٥] عند ذكره إيّاهم في شعره بالتعادي مع المخلوع[٦] :

١– من البَرادي[٧] تَراسُها[٨] ومن الـ خُوص إذا استلأت مَغافرُها
٢– لا الرزقَ تبغي ولا العَطاء[٩] ولا يَحشُرها بالعَناء[١٠] حاشرُها[١١]

١) قد استعملنا الرمزين الآتيين : د = مخطوطة داماد ابراهيم باشا ؛ ب = مخطوطة برلين
٢) د : بقاك . ٣) د : عطا
٤) كذا وعادة الجاحظ ان يقول : الحشوة .
٥) ابو يعقوب اسحق بن حسان الخريمي شاعر اديب معاصر للجاحظ ؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء .
٦) المخلوع = الأمين .
٧) د : والطبرى : البوادي وليس لها معنى مرضي .
٨) د : يتراسها . ٩) د . العطا ١٠) الطبري : للغناء .
١١) من المنسرح ؛ فوردت القصيدة الطويلة في تاريخ الطبرى ، سنة ١٩٧

وقال شبيب بن شَيْبة[1] : « قاربوا هذه السِفلة وباعِدوها ، وكونوا معها وفارقوها وأعلموا أن الغَلَبة لِمَن كانت معه ، وأن المقهور مَن صارت عليه » ، وقد وصفهم بعض العلماء فقال : « يجتمعون من حيث يفترقون ، ويفترقون من حيث يجتمعون ، لا يغلّ غربُهم إذا صالوا ولا تنجع فيهم الحيلة إذا هاجوا » .

والعوامّ — أبقاك الله — إذا كانت نَشَرًا ، فأمرُها أيسر ومدّة هَيْجِها أقصر ؛ فإذا كان لها رئيس حاذق ومُطاع مدبّر وإمام مقلَّد ، فعند ذلك ينقطع الطمع ويموت الحق ويُقتل المحقّ ؛ [د : وجه ١٠٧] فلولا أن لهم متكلّمين وقُصّاصًا متفقّهين وقومًا قد باينوهم في المعرفة بعضَ المباينة ، لم يلحقوا بالخاصّة ولا بأهل المعرفة التامّة ، ولكنّا كما نخافهم نرجوهم[2] وكما نُشفق[3] منهم نطمع فيهم .

ثم قد علمتَ ما كنّا فيه من إسقاط شهادات الموحّدين وإخافة علماء المتكلّمين ؛ ولولا الكلام لم يقم[4] لله دين ولم نبنْ من الملحدين ولم يكن بين الباطل والحقّ فرق ولا بين النبيّ والمتنبّي فصل ، ولا بانت الحجّة من الحيلة والدليل من الشبهة ؛ ثم لصناعة الكلام مع ذلك فضيلة على كلّ صناعة ومزيّة على كلّ أدب ، ولذلك جعلوا الكلام عيارًا على كلّ نظر وزمامًا على كلّ قياس ؛ وإنّما جعلوا له الأمور وخصّوه[5] بالفضيلة لحاجة كلّ عالم إليه واستغنائه عنه .

فلم نزل[6] — أكرمك الله — كذلك حتى وضع الله من عزّهم ونقص من قوّتهم — وليس لأمر الله مردّ ولا لقضائه مَدفع — ، وحتى تحوّل إلينا رجال من قادتهم ومن أعلامهم والمُطاعين فيهم ، وارتاب قوم ونافق آخرون ، وحتى تحوّلت المحنة عليهم والتَّقيّة فيهم ؛ وذلك كلّه على يد شيخك وشيخنا[7] بعدك — أعزّه الله — بما بذل من جهده وعرض من نفسه وتفرّد بمكروهه وتغرّغر مُرارَه صابرًا على جسمه ، يرى الكثير في ذلك قليلًا والإغراق تقصيرًا وبذلَ النفس يسيرًا ، على حين خانَ كلُّ بطل وجارَ كلُّ مقدَم وعرّد كلُّ رئيس

---

١) د : شيب بن شبة ؛ شبيب بن شيبة خطيب بصري شهير ، راجع البيان للجاحظ .
٢) د : نرحوهم .
٣) د : نسفق .
٤) د : تقم .
٥) د : وخصوا .
٦) د : نزل .
٧) أي القاضي احمد بن ابي دؤاد .

وأصاب كلُّ مستبصر وطاح كلّ نفّاج واستخفى كلّ مُراء[1] ، وحتى صاروا هم الذين يشيرون عليه بالملاينة ويحسّنون عنده المقاربة ويخوّفونه العاقبة ويزعمون أن لكلّ زمان تدبيرًا[2] ومصلحة وأن إبعادهم أنفر لطبائعهم وأن إطلاقهم أنجع فيما يُراد منهم ، وحتى سمّوا المداهنة مداراة وإعطاء الرضى تقيّة والشدّة عند الفرصة خُرقًا والانحياز[3] مع صواب الإقدام رفعًا وموالاة المخالف مخالفةً والمصافاة معاشرةً والمهانة حِلمًا والضعف[4] في الدين[5] احتمالًا ، كما سمّى قوم الفِرار انحيازًا والبُخل اقتصادًا والجائر مستقصيًا والبلاء عارضًا والخَطَل بلاغةً .

فكذلك [د:ظهر ١٠٧] كانوا وكان ، وعلى هذا افترق أمرهم وذلك مشهور عنهم ، ثم يصول أحدهم على مَن شتمه ويسالم مَن شتم ربّه ، ويغضب على مَن شبّه أباه بعبده ولا يغضب على من شبّه الله بخلقه ، ويزعم أن أحاديث المشبّهة ، تأويلا ومجازًا ومخارج[6] حق[7] وصدق : فإذا قيل [.......][8] طلب لهذا المجاز ، ظلم وقال ما يليق بلفظ الحديث ، فتكون شهادته[9] لصحّة أحاديثهم مبرّا فيصير فيما يدّعي من خلاف تأويلهم مدّعيًا ؛ ولو كانت هذه الأحاديث حقًّا ، كان قول النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : «سيفشو الكذب بعدي ، فما جاءكم من الحديث فأعرضوه على كتاب الله » باطلًا ؛ فهذا المذهب لمن ينتحل طريقتنا ويسلك — بزعمه — سبيلنا ، جور شديد ومذاهب قبيحة وتقرّب[10] فاحش ؛ وليس ينبغي لديّان[11] أن يوادّ مَن حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم ؛ فمتى إذًا تزول التقيّة ويجب إظهار الحقّ والنُّصرة للدين والمباينة للمخالفين حتى[12] يموت الخصم ويَبيد أثره ويهلك عقبه ويقلّ ناصره ويزول جميع الخوف ويكون على يقين من السلامة ؟

---

١) د : مراى .

٢) د : بدون نقط .

٣) د : الاعماز .

٤) د : والصعـ .

٥) د : الـين.

٦) د : مخارجا .

٧) د : واصا حق .

٨) د : بياض في الاصل قدره كلمتان والمعنى : فاذا قيل له : بيّن مقالك وأتِ بتأويل هذا المجاز الخ

٩) د : ـسهدنه .

١٠) د : تترب .

١١) د : لديان .

١٢) د : حين .

وكيف يكون القائم حينئذ[1] بالحق مطيعاً ولله معظماً [. . . . .][2] فقد سقطت المحنة وزالت البلوى والمشقة ؛ وهل المعصية إلّا ما مازجه الهوى والشهوة، وهل الطاعة إلّا ما شابَه[3] المكروه والكلفة ؟ وكيف يُتكلّف ما لا مؤونة فيه وكيف يُحمد ما لا مَزية عليه ؟ وكيف يكون شجاعاً مَن تقدّم في الأمن وتكمّن في الخوف ؟ أو ليست النار محفوفة بالشهوات ؟ أوَليست الجنة محفوفة بالمكاره ؟ وكيف صاروا في باطلهم أيام قُدرتهم أقوى منّا في حقّنا أيامَ قدرتنا ؟

وقد علمتَ – أرشد الله أمرك – أن التشبيه وإن كان أهله مقموعين ومهاملين وممتحنين ، فإن عدد الجماجم على حاله وضمير أكثرهم على ما كان عليه ، والذين ماتوا قليل من كثير ؛ ونحن لا ننتفع بالمنافق ولا نستعين بالمرتاب ولا نثق بالجانح ؛ وإن كانت المباداة قد نقصت ، فإن القلوب أفسدُ مما[4] كانت ؛ وقد كانوا يتّكلون [د : وجه ١٠٨] على السلطان والقدرة وعلى العدد والثروة وعلى طاعة الرِّعاع والسِفلة : فقد صاروا اليوم إلى[5] المنازعة أميَل وبها أكلف ، لأنهم حين ما نبتوا[6] في القهر بالحشوة [و] السِفلة وبالصناع وبالباعة وبالولاة القسَقة ، وقلوبهم[7] ممتلئة ونفوسهم هائجة ، ولا بدّ لمن كانت هذه صفته وهذا نعته من أن يستعمل الحيلة والحجّة إذا أعجزه البطش[8] والصولة ؛ وكلّ من كان غيظه يفضل عن حِلمه وحاجتُه تفضل عن قناعته ، فواجب أن ينكشف[9] قناعه ويظهر سرّه ويبدو مكنونه .

وقد أطمعني فيهم مناظرتُهم لنا ومقايستُهم لأصحابنا وقد صاروا بعد السبّ يجثون وبعد تحريم[10] الكلام يجالسون وبعد التصامّ يستمعون وبعد التجليح يُدارون ، والعامّة لا تفطن لتأويل كفّها ولا تعرف مقارنتنا : فقد مالت إلينا على قدر ما ظهر من ميلها وأصغت لما ترى من استماعها .

وقد كتبتُ – مدّ الله في عمرك – في الردّ على المشبّهة كتاباً لا يرتفع

---

١) د : حينئذ .
٢) د : بياض في الأصل .
٣) د : شابه او شانه .
٤) د : ما .
٥) د : على .
٦) د : بدون نقط
٧) د : كذا ولعل الصواب : كانت قلوبهم
٨) د : بدون نقط .
٩) ننكشف .
١٠) د : بدون نقط .

عنه الحاذق المستغني[١] ولا يرتفع عن الرَّيِض[٢] المبتدئ.

وأكثرُ ما تعتمد[٣] عليه العامّة ودهما. أهل التشبيه من هذه الأمور ويشمل[٤] عليه الفضل من حشوة الناس ويختدع به المحدّثون من الجمهور الأعظم، تحريفُ آي كثيرة[٥] إلى غير تأويلها وروايات كثيرة إلى غير معانيها؛ وقد بيّنتُ ذلك[٦] بالوجوه القريبة والدلالات المختصرة وبالأشعار الصحيحة والأمثال السائرة، واستشهدتُ الكلام المعروف والقياس على الموجود، وهو مع ذلك كلّه كتاب قصد ومقدار عدل، لم يفضل عن الحاجة ولم يقصر عن مقدار البُغية، على أن الكلام لا ينبغي أن يكثر – وإن كان حسناً كلّه – إذا كان السامع لا ينشط له[٧] وجاز قدر احتماله، لأن غاية المتكلّم إقناع[٨] المستمع.

وقد قال الأوّلون: «قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خيرٌ من كثير وافق من الاستماع نبوةً ومن القلوب [د. :ظهر ١٠٨] مَلالة»؛ قال بكر بن عبدالله المُزَني[٩]: «ليس الواعظ مَن حمل أقدار السامعين وإنابة المرتدّين وملالة المستظرفين»؛ وقال علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه –: «إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان: فابتغوا لها طُرَف الحكمة»؛ وقد كان يقال: «إن للقلوب شهوةً وإقبالاً وفترة وإدباراً: فأتوها من حيث شهوتها وإقبالها»؛ وكان يقال: «إذا أُكره القلب عمي»؛ وقال واصل بن عطاء: «طول التحديق يكلّ الناظر وناظر القلب أضعفُ منه»؛ وزعم عمر بن أبي [....][١٠] قال: «قال قسامة بن زهير[١١] روّحوا[١٢] هذه القلوب[....][١٣] من الذكر»؛ وقال عبد الملك بن قُرَيب[١٤]: «قال أبو الدرداء[١٥]: إني لأستجمّ نفسي ببعض الباطل

١) د: المستغني.
٢) د: الريض.
٣) د: بدون نقط.
٤) د: ويشمل او ويشهد.
٥) د: كثير.
٦) يعني في الكتاب المشار إليه.
٧) د: للسطله.
٨) د: اقناع او استماع.
٩) بكر بن عبدالله المزني تابعي شهير توفي سنة ١٠٨؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء.
١٠) د: كلمة غير مقروءة.
١١) قسامة بن زهير تابعي بصري؛ انظر الإصابة رقم ٧٢٨٦
١٢) د: روجوا.
١٣) د: كلمة غير مقروءة.
١٤) هو الأصمعي.
١٥) ابو الدرداء الصحابي الشهير

كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يَلْهِا»[١] ؛ وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبي وقاص – رضي الله عنهما – وهو بالقادسية أنْ « جنّبهم حديث الجاهلية فإنه يذكر الأحقاد ، وعِظْهم بأيام الله ما نشطوا لاستماعها » ؛ وقالوا : « كان رسول الله – صلعم – يتخوّلنا بالموعظة » ؛ ولذلك أمروا بالجِمام وزيارة الغِبّ ، ورَوَوا أن « شرّ السير الحَقْحَقة[٢] » ؛ ولَأَنْ ينقص الكتاب عن مقدار الحاجة أحبُّ إليّ من أن يفضل عن مقدار القوّة لأن الملالة تُبغض الجميع وتُزهد في الكلّ .

فأنا[٣] أسألك – أكرمك الله[٤] – أن تنظر في هذا الكتاب وتقرأ ما خفّ عليك منه[٥] ؛ فإن كان[٦] كما[٧] – وصفتَ وكما ضمنتَ[٧] ، حثثتَ[٨] على قراءته وعلى اتخاذه وعلى تخليده وعلى تدوينه[٩] وأمرتَ من يحتاج إلى المادّة وإلى حسن المعرفة[١٠] من الموافقين ومن[١١] الإخوان الصالحين أن ينظروا فيه وأن يبيّنوه[١٢] ويشيعوه[١٣] ؛ وقد كنتُ أنا[١٤] على ذلك قادرًا وبه مستوصيًا، ولكن الرجل الرفيع إذا رفع [ب: ظهر ٤٢] الشيء ارتفع ، كما أنه إذا وضع الشيء اتّضع ؛ وإن كنتُ فيه غلطًا أو لعلّته مستكثرًا كان لك ، بحسن نيّتك وصلاح مذهبك والذي رجوتَ عنده من المنفعة وصلاح[١٥] قلوب العامّة ، الأجر الكبير والثواب العظيم مع ما يقضي بذلك من ذِمام المتحرّم بك والمتحلّي من نيّتك [د: وجه ١٠٩] ومع اليد البيضاء والصنيع المشكور[١٦] .

وحرام على كلّ[١٧] متكلّم عالم وفقيه مُطاع وخطيب مفوّه ، وإن كان[١٨]

١) د : فاكلها ، وقد اخترنا رواية البخلاء (ط. الحاجري ص ١٧٠ ؛ والحيوان ج ٣ ص ٧
٢) انظر امثال الميداني (ط. ١٣٥٢) ج ٢ ص ٣٧٢
٣) ابتداء ب وجه ٤٢
٤) سقط من ب.
٥) سقط من ب.
٦) د : فان يصلح الكلام كان.
٧) ب : كما وصف.
٨) د : جثت.
٩) ب . وتدوينه فقط.
١٠) د : المعونة.
١١) سقط من د .
١٢) د : بدون نقط .
١٣) ب : سقط من : وان يبينوه .
١٤) سقط من ب.
١٥) لعل الصواب وإصلاح.
١٦) ب : سقطت الجملة من : وان كنت فيه غلطا .
١٧) سقط من ب .
١٨) د : كلف .

عنده من هذا[١] الأمر شيء إلّا أن يأتيكم[٢] به ويذكر لكم[٣] ما[٤] عنده، قلّ ذلك أم[٥] كثر، وصادف منكم شغلاً أو فراغاً، لأن ذلك من عندكم أنفق والناس إليه أسرع والقلوب إليه أسكن[٦] وهو[٧] في العيون أعظم، لِمَا جعل الله عندكم من حسن[٨] الاختبار[٩] والعلم بمنافع العباد[١٠] ومصالح البلاد[١١]، إذ كنتم المَفزع والمَقنع والآية[١٢] والمَنزع[١٣]؛ ولولا ما قُلّدتم من أمر الجماعة والقيام[١٤] بشأن الخاصّة والعامّة، وإن الشغل برعاية حقّها والدفاع عنها لم يُبقِ في[١٥] قواكم فضلاً للدعاء والمنازعة ولوضع[١٦] الكتب بالجواب[١٧] والمسألة، *لَبَدا بكم الفرض،[١٨] ولكنتم أحقّ بهذا الأمر، على أنّنا لم ننطق إلّا بألسنتكم ولم *نحتذ إلّا[١٩] على مثالكم ولم نقوَ إلّا بما أعرتمونا من فضل قوّتكم؛ * وحرام على العلماء من الفقهاء والمتكلّمين[٢٠] وعلى الرواة من [ب: وجه ٤٣] الأدباء، وعلى أهل اللَّسَن من الخطباء ترك[٢١] معاونتكم ومكانفتكم[٢٢] والجلوس بين أيديكم والاستماع منكم؛ وعليهم[٢٣] أن يُطيعوا أمركم وأن يُنفذوا لطاعتكم وأن يُخلصوا[٢٤] في الدعاء، وأن يمحّضوا النصيحة[٢٥] وأن يُضمروا غاية المحبّة[٢٦] وأن يعملوا في نَفْي[٢٧] الغلّ والحسد وأن لا يرضوا من أنفسهم بالنفاق * في أمركم[٢٨] وأن يعلموا أن الحسد لا يقع إلّا بين الأشكال وأن التنافس

---

١) سقط من د.
٢) ب: الا اناكم.
٣) ب: وذكر لكم؛ د: ويذكركم.
٤) د: بما.
٥) د: اود.
٦) سقط من ب.
٧) د: ويكوني.
٨) سقط من ب.
٩) د: الاختيار.
١٠) ب: البلاد.
١١) ب: العباد.
١٢) ب و د: الاعة (؟).
١٣) سقط من ب.
١٤) ب: ومن امر القيام.
١٥) ب: من.
١٦) ب: ووضع.
١٧) ب: والجواب.
١٨) سقط من ب.
١٩) ب: نخبذ الامور الا.
٢٠) د: نسقط.
٢١) سقط من د.
٢٢) ب: ومكانفتكم وتصح ايضا.
٢٣) د: وعلى.
٢٤) د: بدون نقط.
٢٥) ب: في النصيحة.
٢٦) ب: وان يصبروا على المحنة.
٢٧) د: كفى.
٢٨) سقط من د.

لا يكون إلّا مع تقارب الحال ؛ وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا ، فإذا تقاربوا هلكوا »؛ وكان يقال : « ثلاثة توجب الضغن وتكثر من الغلّ : المجاورة في المنزل والاستواء في النَّسَب والمشاكلة في الصناعة » ؛ ولذلك قال شَبيب بن شَيْبة لرجل ادّعى محبّته ونصيحته : « وكيف لا تكون كما وصفتَ وكما ذكرت ولستَ بخطيب ولا جار قريب ولا ابن‌عمّ نسيب! » وقال بعض الحكماء[1] : « لو لم تعرفوا من لؤم الحسد إلّا أنه موكّل بالأدنى فالأدنى[2] ولا[3] يقع ذلك[4] بين المتباينين ° ولا يكون إلّا في المتقاربين[5] ، ولا يكون الطلب[6] إلّا بالطمع ولا يكون الطمع [د : ظهر ١٠٩] إلا بالسبب : فإذا انقطع السبب انقطع الطمع ° وفي عدم الطمع [عدم] الطلب »[7] ؛ وكيف يتكلّف الطيران مَن ° لا جناح له[8] وكيف يرجو إصلاح[9] أمر العامّة[10] وترتيب الخاصّة[11] مَن قد عجز عن تدبير نفسه[12] وقصر عن تقويم[12] عبده ؟ وإنصاف اللسان قليل وإنصاف القلب أقلّ منه .

° ونحن نرغب إلى الله في صلاحهم، فإن في صلاحهم صلاحَ قلوبنا لهم[14] ؛ [ب : ظهر ٤٣] وقد جعل الله الشكر موصولًا بالمزيد ، ومن الشكر على نعمة الله[15] علينا بكم أن نعظّم ما عظّم الله من أمركم ، ومَن صغّر ما عظّم الله فقد عظّم ما صغّر الله ، ولا يفعل ذلك إلّا الصغير القدر والخامل الذكر والجاهل[16] بالأمر.

وكيف لا تكونون على ما خبرتُ وكما وصفت وقد أغنيتم من العَيلة وأنستم من الوحشة وجمعتم الشمل[17] وأعدتم الألفة[18] ورددتم الظَّلامة وأحييتم

١) ب : سقطت الجملة من : وقد كان يقال
٢) سقط من ب
٣) د : وليس
٤) ب : الحسد
٥) د : ولا يجوز في المعارضين
٦) ب : الظلم
٧) ب : أو من عدم الطلب
٨) ب : ليس له جناح
٩) د : صلاح ؛ سقط من ب
١٠) ب : الخاصة
١١) سقط من ب
١٢) د : بيته
١٣) د : تدبير
١٤) سقطت الجملة من ب
١٥) سقط من ب
١٦) ب : أو الجاهل
١٧) ب : من الشمل
١٨) ب : من الالفة

السنة • وأمتم البدعة[١] وأبرزتم التوحيد بعد اكتنامه[٢] وأظهرتموه بعد استخفائه واحتملتم عداوة الجميع دوننا[٣] ووترتم الطاعنين[٤] في نفوسنا[٥]، ونحن لا نطالب بما كنتم قياماً ولا نذكر ما كنتم شهوداً ؛ ونحن مع قلة علمنا لا نجد أبداً[٦] عملنا[٧] إلا مقصراً عن علمنا ، وأنتم مع اتساع علومكم[٨] ، أعمالكم فوق[٩] علومكم ؛ • لأن كل من بذل مجهوده وخاطر بجميع نعمته وكانت الواحدة من نعمه كالجميع من نعم غيره مع خذلان الموافق ونكوص الموازر ثم لم تزده الشدائد إلا شدة والوحدة أنسة ، حقيق بالتفضيل والتعظيم والابانة له بالتقديم[١٠] .

ولعل قائلاً أن يقول : ولم[١١] أدخله [ب: وجه ٤٤] في جملة صفات أبيه وجلة مشيخته وأقربيه حيث خصهم[١٢] بالتقديم وأبانهم بالتعظيم ، بل كيف يقدم من صغرت[١٣] سنه وقلت تجربته، على من تقادمت[١٤] سنه وكثرت تجربته[١٥]، وكيف تمكن الطاعة الكبيرة في الأيام القصيرة والشهور[١٦] اليسيرة • وهل يقول ذلك صاحب تحصيل ومقايسة والبعيد من الملق والمخادعة ؟ •[١٧] .

وما قلت ذلك — حفظك الله — ولا انتحلته إلا وبرهاني[١٨] ظاهر[١٩] وشاهدي [د: وجه ١١٠] حاضر[٢٠] ؛ وذلك • أن للشباب[٢١] سكرة[٢٢] وطماحاً وقراعاً وصولة[٢٣] ، والهرم[٢٤] داخل على[٢٥] جميع الأعضاء ، وآخذ بقسطه

---

١) سقط من د
٢) ب : اكتنامه
٣) سقط من د
٤) د : المطاعنين
٥) د : تفويتنا
٦) سقط من ب
٧) ب : علما
٨) د : قلوبكم
٩) د : وفق
١٠) سقطت الجملة من ب
١١) سقط من د
١٢) ب : خصهم . الله
١٣) ب : صغر
١٤) د : تقاربت
١٥) ب: سقط من : على من
١٦) ب : الشهوة
١٧) سقطت الجملة من ب
١٨) ب : وهو برهاني
١٩) د : حاضر
٢٠) د : شاهد
٢١) د:ان للشاب ؛ ب : انى الشباب
٢٢) ب : سكر
٢٣) ب:وطماح وصولة وقراع
٢٤) ب : والكبر
٢٥) ب : في

من جميع الأجزاء ؛ ألا ترى كيف يكل[1] ناظره وسامعه وذائقه وشامه وهاضمه[2] وعامله ، وكيف تنتقص على مرور الأيام قوته ، وكذلك قلبه وكل ما بطن من أمره ؟ وعلى[3] قدر ما ينقص[4] من قوى جسمه وينقص[5] من قوى شهوته ، تخف[6] عليه مخالفة هواه ومحاربة[7] نوازعه[8] ؛ فمن[9] حمل على نفسه في كمال[10] شبابه * وأيام سكرته[11] وفي سلطان حداثته[12] وكمال قوته[13] ، فطلّقها[14] مرة وكبحها[15] مرة أخرى [ب: ظهر ٤٤] وعانى[16] تلك التكاليف وغلب تلك الريح (؟) ، كان أمرن[17] طاعة إذ كان أحمل للمشقة ؛ وعلى قدر المشقة تكون المثوبة وتعظم عند الله المنزلة وتقع له في قلوب الناس[18] المحبة؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لسعد بن أبي وقاص حين وجهه إلى العراق : « يا سعد بن وُهيب ، إن الله إذا احب عبدًا حببه إلى خلقه ؛ وتكبر[19] منزلتك من الله بمنزلتك[20] من الناس ، وأعلم أن ما لك عند الله مثل ما لله عندك »[21] ؛ ونحن نعتبر حالك عند الله بالذي * نجد لك[22] في قلوب عباده ، وقد ملّك الله بعض الناس أبدان بعض ولم يملّك القلوب أحدًا غيره .

وأما قولهم إن الغرارة[23] مقرونة بالحداثة والحنكة موصولة بطول التجربة، فإن الذهن الجديد والطبع الصحيح والإرادة الوافرة تنال في الأيام اليسيرة وتدرك في الدهور القصيرة ما لا تدركه[24] العقول الممزوجة[25] والطبائع[26] المدخولة

١) ب : يسل
٢) د : وعاشه
٣) د : على
٤) د : نقص
٥) ب : ينقص
٦) ب : يجب
٧) ب : مجاذبة
٨) د : موادعه
٩) د : لمن
١٠) ب : ايام
١١) سقط من ب
١٢) د : حدثه ؛ ولعل الصواب : جِدته
١٣) د : قوبه
١٤) د : تكلفها او قطلقها
١٥) ب : ونكحها
١٦) د : وغابن
١٧) ب : أوزن
١٨) ب : العباد
١٩) د : وكبّر
٢٠) د : بدون نقط
٢١) ب : سقطت الجملة من : ولذلك قال
٢٢) سقط من ب
٢٣) د : النزارة
٢٤) ب : تناله
٢٥) د : المخروجة
٢٦) د : ولا الطبائع

والإرادة الناقصة في الأيام الكثيرة والدهور الطويلة[١] ؛ وربما صادف القابل[٢] مع ذكائه وكثرة قوابله[٣] وجودة اعتباره زماناً أكثر عجباً وأكثر معتبراً ، وإن كانت شهوده أقلّ وأيامه أقصر ، فينال مع قلّة الأيام ما لا ينال سواه مع كثرتها ولا سيّما [د : ظهر ١١٠] إذا أعين بحفظ وأجدّ من نفسه بفضل بيان ؛ وليس مَن نظر في العلم على الرغبة والشهوة له كمن نظر فيه على المكسبة به والقرب[٤] إليه ، لأن النفس لا تسمح بكلّ قواها إلّا مع النشاط والشهوة ، وهي في سوى ذلك لنفسها مستكرهة ولها مكابدة ، والسآمة إلى من كانت هذه صفته أقرب وله ألزم ؛ ولولا ذلك لما ولّى رسول الله — صلعم — معاذ بن جَبَل[٥] اليَمَن وحمل إليه قبض الصدقات ومحاسبة العمّال وقلّده الأحكام وتعليم[٦] الناس الإسلامَ وهو ابن ثماني[٧] عشرة سنة ، لا يدفع ذلك صاحبُ خبر ولا حامل أثر ؛ وعلى مثل ذلك عقد لأسامة بن زيد[٨] الإمرة وأبانه بالتقدمة على جِلّة الأنصار وكبار المهاجرين وخيار السلف المتقدّمين ؛ وعلى مثل ذاك ولّى عَتّاب بن أَسِيد[٩] مكّة وبها عظماء قُرَيش وكبراء[١٠] العرب وذوو الأخطار من كل قبيلة وذوو الأسنان من كل جيل ، ومكةُ فتح الفتوح وأمّ القرى وخاتمة الهجرة وقبلة العرب وموضع الحرم والموسم الأعظم والحجّ الأكبر والأصل والفخر ؛ وقد رأينا ما بلغ مَخْلَد بن يزيد[١١] في السؤدد والنجدة وقود الجيوش والهيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقد ذكر ذلك الكُمَيت بن زيد[١٢] فقال[١٣] :

١) انتهاء ب

٢) د : القابل

٣) د : قوابله

٤) د : بدون نقط

٥) معاذ بن جبل صحابي شهير توفي سنة ١٨ ؛ انظر المعارف لابن قتيبة ص ١١١ ؛ والإصابة رقم ٨٠٣٧ ؛ والتهذيب للنووي ص ٥٥٩–٥٦١ الخ

٦) د : ويعلم

٧) د : ثمان

٨) أسامة بن زيد مولى النبي ؛ انظر *Encyclopédie de l'Islam*

٩) عتاب بن أسيد صحابي توفي سنة ١٣ ؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء

١٠) د : ولبرا

١١) مخلد بن يزيد بن المهلب قائد للجيوش ؛ انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ و ٣٥٥

١٢) الكميت بن زيد شاعر مات سنة ١٢٦ ؛ راجع *Encyclop. de l'Islam*

١٣) من الكامل ؛ فالبيتان في الاغاني ج ١٥ ص ١٢٨

١- قاد الجيوش لخمسَ عشرةَ حِجَّةً ولِداتُه عن ذاك في أشغالِ
٢- قعدتْ بهم هِمّاتُه وسَما به هِمَمُ الملوك وسَورةُ الأبطالِ

فأمّا ابن بيض[1] فقال[2] :

١- بلغتَ لعشرٍ مضتْ من سِنيـ ـكَ ما يبلغ السيّدُ الأشيبُ
٢- فهمُّكَ فيهـا جِسامُ الأمور وهمُّ لِداتِـكَ أن يلعبوا

وعلى مثل ذلك قال الفرزدق[3] في يزيد بن المهلّب[4] :

١- ما زال مُذ عقدتْ يداه إزارَه ودَنا وكان بخمسةِ الأشبـارِ
٢- وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتَهم خُضُعَ الرقابِ نَواكِسَ الأبصارِ

[د:وجه ١١١] وعلى هذا المجرى مدح الشاعرُ مَن مدح فقال[5] :

ما زلتَ في عقل الكبيرِ وأنت في سِنّ الصغيرِ

وقد رأيتم ما بلغ محمّد بن القـاسم[6] من الفتوح العظام والأيّام الجسام والقهر للأعداء. وبلوغ المحبّة في الأولياء، وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقـد ذكر ذلك زياد الأعجم[7] فقال[8] :

١- ما أن سمعتُ ولا رأيتُ عجيبةً كمحمّد بن القـاسم بن محمّدِ
٢- قاد الجيوش لخمسَ عشرةَ حِجّةً ما قرب ذلك سُؤدَدًا من مولدِ

وقال الآخر[9] :

إذا المرء أعيته المُروّة ناشئاً فمطلبها كهلاً[10] عليه عسيرُ

---

١) حمزة بن بيض شاعر كوفي ؛ راجع الاغاني ج ١٥ ص ١٥-٣٦

٢) من المتقارب ؛ يمدح في البيتين مخلد ابن يزيد ؛ انظر الاغاني ج ١٥ ص ١٥

٣) من الكامل ؛ راجع الديوان (ط الصاوي ج ١ ص ٢٧٦ و٢٧٨) حيث جاء : فدنا فادرك خمسة الاشبار ؛ راجع ايضاً الخزانة للبغدادي (ج ١ ص ١٩٠ وما يليها)

٤) يزيد بن المهلب من القادة والولاة الامويين ؛ راجع Encyclopédie de l'Islam

٥) من الرجز ولا نعلم من قائله

٦) محمد بن القاسم فاتح السند ، راجع Encyclopédie de l'Islam

٧) زيـاد الاعجم شاعر اموي ؛ انظر الآداب العربية لِـ Nallino

٨) من الكامل

٩) من الطويل ولا نعلم من قائله

١٠) د : كهل

وقال الآخر[1] :

١– إذا مـا ترعرع فينا الغلامُ فليس يقـال له من هُوَهْ
٢– إذا لم يَسُدْ قبلَ شدِّ الازار فذلك فينـا الذي لاهُوَهْ
٣– ولِي صاحبٌ من بَني الشَّيْصَبانِ[2] فطورًا أقول وطورا هُوَهْ

وزعموا أن عمرو بن سعيد[3] قال له معاوية ، وذلك قبل أن يبلغ ويحتلم : « إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ »

- قال : « إن أبي أوصى إليَّ ولم يوصِ[4] بي ! » – قال : « فبِمَ أوصاك ؟ »
– قال : « أوصاني أَلّا يفقد إخوانُه منه إلّا وجهَه » .

ولو لم يُعرف ذلك إلّا بعبد الله بن العبّاس وحده[5] كان دليلًا كافيًا[6] وبرهانًا شافيًا ؛ فإن الأعجوبة فيه أربَتْ على كلّ عَجَب وقطعت كلّ سبب، وقد رأيتم حاجة عمر[7] إليه واستشارته إيّاه وتقويمه لعثمان[8] –رضي الله عنهما– وتعبيره عليه ؛ ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحقًا وبها [د: ظهر ١١١] مخصوصًا ما خصّه الرسول – صلعم – بالدعوة المستجابة ولمّا خصّه بعلم الكتاب والسنّة ، وهما أرفع العلم وأشرف الفكر ، ويدلّك على تقديمه للعناية وإيثاره للتعليم والاستبانة قوله حين قيل له في حداثته وقبل البلوغ في سنّه : « ما الذي آتاك هذا العلمَ وهذا البيان والفهم ؟ » – قال : « قلب عَقول ولسان سَؤول ! » .

وقد عرفتم تحاكم العرب في الجاهلية في النّفورة وفي غير[9] ذلك من المخايرة[10] والمشاورة إلى أبي جَهل بن هشام[11] في أيام حداثته وفتائه[12] ولذلك أدخلوه دار الندوة ودفع ذوي الأسنان والحنكة من بين جميع الشُّبّان ومن

---

١) من المتقارب ؛ والآخر هو حسان ابن ثابت ؛ انظر الديوان ص ٤٣٢ والحيوان ج ٦ ص ٢٢١ وثمار القلوب للثعالبي ص ٥٥ ؛ فالشيصبان شيطان الشاعر
٢) د : الشيصبان
٣) عمرو بن سعيد الاشدق قائد اموي قتله عبد الملك سنة ٧٠ ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*
٤) د : يوصى
٥) د : وحده
٦) د : ذلك كافيًا
٧) اي عمر بن الخطاب
٨) اي عثمان بن عفان
٩) د : عر
١٠) د : المخابرة او المخايرة
١١) راجع *Encyclopédie de l'Islam*
١٢) د : وفقايه

بين جميع الفتيان ؛ ولذلك قال قُطبة بن سِنان[1] حكيم فَزارةَ حين تنافر إليه عامر بن الطُّفَيل[2] وعَلقمة بن عُلاثة[3]: «عليكم بالجديد[4] الذهن الحديث السّنّ» يعني أبا جهل ؛ فهذا كلّه دليل واضح وبرهان بيّن.

ولعلّ قائلًا أن يقول: «إنّما الفضل في خشونة المأكل وجُشوبة[5] الملبس، وليس ذلك لمن مدحتَ ولا هذه صِفة مَن وصفتَ[6]»؛ وهذا باب — أبقاك الله — قد يغلط فيه العاقل ما لم يكن بارعاً والفَطِنُ ما لم يكن ثاقباً والأريب ما لم يكن كاملًا ؛ ولو كان الفضل والرئاسة والقدر والنباهة على قدر قَشَف الجلدة[7] وبَذاذة الهيئة وكثرة الصوم وإيثار الوحشة والسياحة، لكان عثمان ابن مظعون[8] متقدّماً لأبي بكر الصدّيق — رضوان الله عليه — ولكان بلال ابن رَباح[9] غامرًا لعثمان بن عفّان — رضي الله عنهما —؛ وقد قال ابن شِهاب الزُّهري[10]: «ليس الناسك[11] إلّا مَن غلب الحرام صبرُه والحلال شكرُه».

فهذا[12] ما حضرَنا من القول وأمكننا من الاحتجاج، وما أشكّ أن مَن خبر[13] أمرَك بأكثر[14] من اختباري كان[15] عنده أكثر من علمي، على[16] أنّ نظرك [د: وجه ١١٢] — أسعدك[17] الله — يُغني عن الخبر [ب: وجه ٤٥]

١) هذه القصة معروفة ؛ انظر مثلًا Caussin de Perceval, *Essai*

٢) عامر بن الطفيل شاعر جاهلي ؛ راجع *Encycl. de l'Islam*

٣) علقمة بن علاثة عداده في الصحابة ؛ راجع الاصابة رقم ٥٦٦٩ ؛ والاغاني ج ١٥ ص ٥٠-٥٦، والتهذيب للنووي ص ٤٣٣ الخ

٤) د : بالحديد

٥) د : وحشونة

٦) د : وصفتُ

٧) د : مشف للجلده

٨) عثمان بن مظعون صحابي مشهور بزهده ؛ راجع الاصابة رقم ٥٤٥٣ ؛ والتهذيب للنووي ص ٤١٤-٤١٥ الخ

٩) بلال بن رباح موذن النبي (وفي د : رياح)، راجع *Encyclopédie de l'Islam*

١٠) ابن شهاب الزهري محدث شهير مات سنة ١٢٤ ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

١١) د : الناس

١٢) استئناف ب

١٣) ب : خير

١٤) د : اكثر

١٥) ب : ان يكون

١٦) ب و د : وعلى

١٧) ب : ابقاك

والفراسة فيك تكفي مؤونة[1] التجربة لك .

وقد تقبّلت[2] — بحمد الله — أخلاق شيخك * كما تقبّل شيخك أخلاق أشياخه[3] واحتذيت[4] على مثاله كما احتذى[5] على مثال من كان[6] قبله ؛ ولو لم يتعقّبوا[7] أمرك ويتصفّحوا سيرتك في نفسك ثم في خاصّتك وعامّتك ، لكان في صدق الفراسة وظهور المخيلة[8] ما يقضي به المتفرّس[9] ويستدلّ به المتجرّب[10] ؛ وظنّ العاقل كيقين غيره ؛ قال عمر بن الخطّاب — رضي الله عنه — : « * من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بعقله[11] » ؛ وقال أوس بن حجر[12] :

الألمعيّ الذي يظنّ بك الـ ... ـظنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا[13]

وقال وهو يمدح ابن كلدة[14] بصدق الحسّ وصواب الحدس وجودة الظنّ[15] :

أزيبٌ أديبٌ أخو مأزِقٍ[16] ... نِقابٌ[17] يحدّث بالغائب

وقال آخر[18] يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان[19] :

١— رأيتُ أبا الوليد غداة جمعٍ ... به شَيبٌ وما فقدَ الشّبابا

٢— ولكنْ تحت ذاك الشّيب حزمٌ ... إذا ما ظنّ أمرضَ[20] أو أصابا

---

١) د : مرمد

٢) د : فضلت

٣) سقط من د

٤) ب : اخذت

٥) ب : اخذ

٦) سقط من ب

٧) د : سعوا

٨) د : المحبة

٩) د : النفوس

١٠) د : المجرب

١١) د : انك لن تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه؛ راجع ديوان المعاني للعسكري (ج ١ ص ١٤٠) : وقالت الحكماء : لا ينفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه

١٢) اوس بن حجر شاعر جاهلي ؛ انظر *Encyclopédie de l'Islam*؛ فالبيت — من المنسرح — موجود في الحيوان ج٣ ص٥٩؛ وفي ديوان المعاني ج١ ص١٤٠

١٣) انتهاء ب

١٤) الحارث بن كلدة طبيب العرب في آخر الجاهلية؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء

١٥) من المتقارب؛ فورد في الحيوان ج٣ ص٦٠ : مليح نجيح . . . يحدث الغائب

١٦) د : مارق

١٧) د : نمابا

١٨) الآخر هو كُثَيِّر عزّة

١٩) من الوافر ؛ راجع الديوان ط. Pérès ج ٢ ص ٦٨

٢٠) د : اعرض ؛ وامرض= كاد يصيب

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[١]، وقال: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[٢] وفي ذكره البعضَ دليل على أن سائر ذلك صواب وطاعة .

وكان من أسباب رفعي إليك هذا الكتابَ – أبقاك الله – دون أبي عبدالله[٣] – أكرمه الله – أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرًى واحدًا ، ولأنك ، وإن كنتَ كثيرَ الشغل ، فهو أقلّ فَراغاً منك على كثرة شغلك وفرط عنايتك بما استكفاك واسترعاك،وإن جعلتَ لي قسماً من وقت فراغك ونصيباً من ساعة نشاطك رجوت[٤] أن تصير إلى ما أملناه عندك مع الإنعام عليَّ والاسترهان لشكري ؛ فإن العرب لم تعظِّم شيئاً قطُّ كتعظيمهم موقعَ الانعام والشكر والأحدوثة الحسنة والذكر[د:ظهر١١٢]والتمييز والاستبداد للنِّعَم ، والكفر حائل بين العَود والبدء[٥] ؛ قال عنترة[٦] :

نُبِّئتُ بِشرًا غيرَ شاكرِ نِعمتي والكُفرُ مَخبَثةٌ لنفسِ المُنعِمِ

وقال السِّندي[٧] :

١– فلمْ أجزَ بالحُسنى وعادتْ مشاتوي بَلاقعَ يقروها الحَمامُ المُفرفِرُ
٢ – تبدلتُ بالإحسانِ سُوءًا وربما تَنكَّرَ المعروفَ مَن كانَ يُكفَرُ

ويدلّ على حبّهم للثناء وجميل الذكر قول الأسدي[٨] :

فإني أُحبُّ الخُلدَ لو أستطيعُهُ وكالخُلدِ عندي أنْ أموتَ ولم أُلَمْ

---

١) سورة ٣٤ آية ١٩
٢) سورة ٤٩ آية ١٢
٣) أحمد بن ابي دؤاد يكنى أبا عبدالله
٤) د : رحوت
٥) د : البدى
٦) من الكامل ؛ البيت من معلقته (عمرًا بدل « بشرًا ») ؛ راجع خزانة البغدادي ج ١ ص ٢٠٤ وما يليها
٧) لعله ابو عطاء السندي ؛ راجع الاغاني ج ١٥ ص ٨١ – ٨٧ ؛ البيت الثاني موجود في البخلاء (ط . الحاجري) ص ٧٨
٨) من الطويل ؛ انظر الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥

وقال[1] :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بِفَعالنا إنَّ الثناء هو الخُلْدُ

وقال الغَنَوي[2] :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدَّثوا إنَّ الحديث مَهالكٌ وخُلودُ

فجعلوا الذكر بالجميل مثل الخلود في النِعَم ، وعلى هـذا المعنى قال[3] في دَرَك الثناء[4] :

فَتْلًا بِتَقْتيلٍ وعَقْرًا بعَقْركم جزاء العطاس لا يموت مِن أثأر[5]

وقال حكيم الفُرس حين بلغه موت الإسكندر وهو قاتل دارا بن دارا : « ما ظننتُ ان قاتل دارا يموت » ؛ وهذا القول هو له أمدح منه لقاتله ، ولم أسمع للعَجَم كلمةً قطُّ أمدح منها ؛ فأمّا العرب فقد أصبتُ لهم من هذا الضرب كلامًا كثيرًا .

وممّا يدلّ على عِظَم الشكر عند الشاكر والمشكور له من العرب قولُ أوس بن حَجَر في حليمة :

سنجزيكَ أو يجزيكَ عنّا [مديحُنا][6] وحسبُك أن نُثني عليك وتُحمَدي

وقال بعض الشعراء[7] :

[د: وجه ١١٣] فلم أجزه إلّا التشكّر جاهدًا وحسْبُك منّي أن أقولَ فأحمدا

وكانوا يرون للذكر(؟)[8] ما لا يراه غيرهم ؛ قال امرؤ القيس بن حُجر[9] :

. . . . . وجرحُ اللسان كجرح اليدِ

١) من الطويل ؛ فالبيت معزو الى الخادرة في الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥ .

٢) من الكامل ؛ فالبيت موجود في الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥ :

فاذا بلغتم ارضكم فتحـدثوا من الحـديث متالف وخـلود

اما الغنوي فهو طُفَيل الغنوي شاعر جاهلي ؛ داجع *Brockelmann*

٣) اي مهلهل ؛ راجع الحيوان ج ٣ ص ٤٧٦ ٤) من الطويل

٥) د : ورد البيت كما يأتي :

مصلا بقتيل وعفوا لعفوكم حرر العطاس لا يموت

٦) زيادة تقتضيها اقامة الوزن ٨) د : الذنب او الذنب

٧) من الطويل ولا نعلم من قائله ٩) من المتقارب وصدر البيت :

ولو عن نثا غيره جاءني

وقال جرير[١] :

وَلَلسيف أسوى وقعه من لساننا

في أشعار كثيرة .

ولست[٢] أمتّ إليك — * أكرمك الله[٣] — بعد التوحيد ونفي التشبيه ونُصرتي للدين بأمرٍ أنا به أوثق من رغبتك في شكر الكرام والأحدوثة الحسنة ؛ قال الله — عز وجلّ — * لنبيّه — صلعم[٤] — : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[٦] [ب : ظهر ٤٥] * وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[٧] ؛ فلو كان حبّ الذكر خطيئةً لَمَا رغّبهم فيه * ولمَا عدّه[٨] في نِعَمه .

ولعلّ قائلًا أن يقول : « وكيف لم[٩] يذكر أميرَ المؤمنين * المعتصم بربّ[١٠] العالمين الذي * حقّق الله به الدين[١١] وسدّ به الثغور[١٢] * وردّ به المظالم[١٣] وحسم[١٤] به عرق البغي ونواجم الفتنة ، الذي لم يزل الله[١٥] يزيده في كلّ طرفة محبّةً ومع كلّ محبّة هيبةً ومع كلّ نعمة شكرًا ومع كلّ شكر فضلًا ، وهو المبتدئ لهذا الأمر * والدالّ عليه[١٦] والقائم به ، والقطب الذي عليه تدور الرحى وعلى مثاله احتذى * مَن احتذى[١٧] وبلسانه نطق وعن رأيه صدر وبيُمن نقيبته[١٨] ظهر وبفضل قوّته نهض[١٩] وهو أوّل هذا الأمر ووسطه وبه يتمّ أمره[٢٠] إن شاء الله تعالى » ، قلنا إنّ عقل الرسول يدلّ على مُرسِله[٢١] واعتدال القناة

---

١) يظهر ان هذا عجز بيت من الطويل غير اننا لم نعثر عليه في ديوان جرير
٢) استئناف ب
٣) سقط من ب
٤) سقط من د
٥) سورة ٩٤ آية ٤
٦) سورة ٤٣ آية ٤٣
٧) سورة ٢١ آية ١٠ ، سقطت من د
٨) د : ولا عد
٩) ب : ولم
١٠) د : والمعتصم نور
١١) ب : حقن الله به الدماء
١٢) تزيد ب : وردمها
١٣) سقط من ب
١٤) د : وجسم
١٥) سقط من ب
١٦) سقط من د
١٧) سقط من ب
١٨) د : بمسته
١٩) ب : علق
٢٠) سقط من د
٢١) اشارة الى قول محمول على علي بن ابي طالب : رسولك ترجمان عنك ؛ انظر امثال الميداني ج ٢ ص ٤٢٣

يدل[١] على حذق[٢] المثقف[٣]، ومديحنا[٤] [ب : وجه٤٦] الوزير[٥] راجع إلى من اختاره[٦] ومديحنا له غير راجع إلى وزيره والمحتذي على مثاله[٧]؛ بل قد علم الناس أن الحظ الأكبر ° والنصيب الأوفر[٨] للآمر دون المطيع وللمعلم[٩] دون القابل[١٠] ، لأن[١١] المسبب في عدالة المقول[١٢] وعند[١٣] النظر والتحصيل أفضل من المسبب[١٤] والمتبوع خير من التابع ؛ ألا ترى أن من مدح الأنصار فهو° للنبي – صلعم –[١٥] وللمهاجرين أمدح ؟° وإن لم يظهر ذكرهم في الوصف[١٦] ؟ [د: ظهر ١١٣] قال جرير[١٧] :

[نبيهم قرشي والأنصار الصابرين (؟)]

وقال رؤبة[١٨] :

[ومن على المنبر .... والمنبر (؟)] .

وربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم وأدعى إلى التقديم من الإفصاح والشرح[١٩] ولربما أبان[٢٠] السكوت[٢١] عما يعجز عنه القول وقد يبلغ[٢٢] [المرء] أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماء والإشارة حتى يكون تكلف القول فضلا والكلام خطلا ؛ [ولربما كان اللسان أنفذ من السنان وأقطع من السيف اليماني] –[٢٣].

١) ب : دليل
٢) ب : حد
٣) د : المثبف
٤) ب : ومدحنا ؛ د : ومديحك
٥) ب : للوزير
٦) حذفنا [من د فقط] الكلمات الآتية : وان تصويب ظن المتفرس فيه ؛ فهي في غير موضعها
٧) سقطت من ب الجملة من : وان تصويب الخ
٨) سقط من د
٩) ب : والمعلم
١٠) د : القائل
١١) د : ولان
١٢) سقط من د
١٣) ب : وجيد
١٤) ب : المكتب
١٥) سقط من ب
١٦) سقط من ب
١٧) كذا في د ؛ وفي ب : نبلكم قريش قريش والانصار الصابرين ؛ ولم نعثر على البيت في مراجعنا
١٨) رؤبة بن العجاج راجز بصري ؛ راجع Nallino ؛ فلم نعثر على البيت فيما نشر من شعر رؤبة
١٩) سقط من ب
٢٠) د : اتى من
٢١) ب : السكون
٢٢) د : بلغ
٢٣) لعل هذه الجملة زائدة

وما عسى أن أقول فيمن قد قوي عقله بطبيعته واتصف عزمه من شهوته وكان عمله وفق علمه وعامله غامرًا لخصمه ؟ وقد يجرى الملك على عرق صالح ومنشإ سوء ، فيقدح ذلك في عرقه وإن لم يستأصله ، وقد يكون له عرق صالح ومنشأ صدق وتكون أداته تامة ويكون مؤثرًا لهواه ، فيكون في الاسم وفي ظاهر الحكم كمن فسد عرقه وخبث منشؤه[١] ؛ وقد جمع الله لأمير المؤمنين مع[٢] كرم العرق[٣] وصلاح المنشإ ، البعد[٤] من إيثار الهوى ؛وما رأينا[٥] أفعالا[٦] أشبه بأخلاق ولا أخلاقا أشبه بأعراق من أفعاله بأخلاقه وأخلاقه بأعراقه[٧] .

فنسأل الله الذي أسعدنا[٨] [ب:ظهر ٤٦] بخلافته أن يمن علينا بطول بقائه وأن يخصنا بحسن نظره كما خصنا بمعرفة حقه والاحتجاج لملكه والذب عن سلطانه[٩] .

• أطال الله بقاءك وحفظك وأتم نعمته عليك وكرامته لك[١٠]

تمت الرسالة

١) سقط من ب من : وقد يبلغ
٢) سقط من ب
٣) د : العروق
٤) ب : والبعد
٥) وهل رأيت
٦) ب : فعلا
٧) ب : وضعت هذا الجملة : وما عسى ان اقول . . . . . لخصمه
٨) د : اسندنا
٩) ب : وضعت هنا الجملة : وربما كانت الكتابة . . . يعجز عنه القول
١٠) سقط من ب

ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

للشيخ عبد الغني النابلسي

عُني بنشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لقد سبق للمشرق ان قدّم فصلاً من كتب النابلسي القيّمة[١] ، ذلك المؤلف المحبّ للبحث، الذي تطوّر من الصوفية الى رجل يُعنى بعلم ما وراء الطبيعة العويص كل العوص وحاول جرياً على منطق محدود جدّ الحد ان يفسّر الفرضيّات الفلسفية واراد بواسطتها تفسير ايمانه . والآن ننشر له مخطوطة اخرى . وهذه افكاره الرئيسية :

ان الله هو الكل والمخلوق ليس شيئاً ووجوده امام الله لا يكون الّا العدم في الوجود وليس الّا فيما يستمر في اعطائه اياه ، فلذلك لا فائدة من الركون الى المخلوق المنتهي وانما المهم اعتبار مصدر الوجود وما سوى ذلك فلا اهمية له تُذكر .

هذه هي الافكار التي حاول المؤلف توسيعها . وكان في ذلك من المحافظين كل المحافظة[٢] .

والذي اهاب بنا الى نشر هذا النص هو وضوح الفكرة وقوة التعبير وهذا المنطق ، وكلّها جملت من كتيبه الذي يدور حول موضوع من اهمّ موضوعات الفكر الاسلامي اثرًا ممتازًا .

ولقد وقعنا في مكتبة جامعة استانبول على ثلاث نسخ لهذا الكتاب قابلناها بعضها ببعض ووضعنا في اسفل الصفحات القراءات المختلفة التي تميّز الواحدة عن الاخرى . واليك اوصافها :

١ — النسخة ١ — تحمل رقم ٥٥١٢ وغلافها من الجلد المصفح بخط نسخي ثلث وفي كل صفحة من صفحاتها ١٧ سطرًا وفي السطر ١١ كلمة وهي بطول ٢٠ س وعرض ١٦،٣ س ومدى المكتوب منها ١٤،٨ × ٨،٠٢ . والمخطوطة ما برحت محفوظة

---

١) راجع المشرق : ٤١ : ٥٨٦

٢) راجع القرآن السورة ٢٨ الآية ٨٨ «كل شيء هالك الا وجهه» . وقد زاد المستشرق لويس ماسينيون ان الاسلام في نظرياته الدينية يميل في اثبات وجود الله الى ما يملك الكائنات لا الى ما يقوّمها . راجع Louis Massignon : *Le Passion d'al-Hallāj*, I. p. 631, note 4.

سالمة وعليها بعض ملحوظات في الهوامش. اما ورقها فخشن وقد وضعها المؤلف سنة ١٠٩١ بيد ان النسخة فلا نعلم تاريخها. ومن ميزاتها ان فيها كثيراً من المنسيات. والمخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٨. ونجد في هامش الصفحة الاولى هذه الابيات:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال مشيرُ
فيوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر ودهر الهوى يوما اذا لم يكن هجرُ
لان الهوى حلو وحلو الهوى مرٌّ وصاحبه عبد ومالكه حرّ

٢ — النسخة ب — رقم ٤١١٩ وغلافها من الورق ونصها ضمن اطار من الخطوط الحمراء وقد نالت الرطوبة قسماً من اطراف صفحاتها. اما خطها فنسخي عادي، بطول ٢٠٦٤ س وبعرض ١٥٢٣ ومدى الخطوط من صفحاتها ١٤٢٦×٩٢٢ وفي كل صفحة ٢٥ سطراً ومعدل السطر ١٠ كلمات. وفي النص كلمات كتبت بالحبر الاحمر. وهذه المخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٦.

٣ — المخطوطة ت — تحمل رقم ٣٧٣٠ وغلافها من الورق المغطى قفاه بالقماش. وفي الصفحة الاولى قد نسخ ما كان في النسخة التي استخدمت لنقلها. وتشتمل هذه النسخة على ٤ ورقات متلاز خطها وفي كل صفحة من صفحاتها ٣٣ سطراً وفي السطر ١٥ كلمة بطول ٢٠٢٦ س وبعرض ١٤ س. والمدى ١٧٢٥×٩٢٩. وقد خطّ على الصفحة الاولى ما يلي: «في ظهر النسخة المنقول عنها قوله صلّى الله عليه وسلّم من عرف نفسه فقد عرف ربّه. قال حضرة سيدي الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي قدّس سرّه: عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالنفس الوجود. انتهى من كتاب الاحدثية ومن المسامرات للشيخ الاكبر:

نبّه على السرّ ولا تفشه فالبوح بالسر له مقت
على الذي تبديه فاصبر له واكتمه حتى يصلّ الوقت

وفي ظهرها ايضاً: ما احسن ما قاله بعض العارفين:

واذا حضرت لدي الرجال واشرقت في جوّ باطنك المعاني الشُردُ
فاحذر مناظرة الجهول فانما تنتاضُ انت ويستفيد ويجرُدُ

وعنوان هذا الكتاب: كتاب ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود لمولانا العارف المحقق سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي امدنا الله بمدده امين.

وعلى قفا الصفحة الاولى كتب ما يلي: «هذه رسالة وحدة الوجود المسمّاة بايضاح المقصود للشيخ عبد الغني النابلسي».

ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

(١٧) بسم الله الرحمن الرحيم[١] الحمد لله الموصوف بوحدة الوجود وعلى حد ما تعرفه اهل المعاينة والشهود لا على المعنى الفاسد الذي عند اهل الالحاد والزندقة واهل الانكار والجحود[٢] . لان كل شي من جهة نفسه معدوم مفقود[٣] . وانما هو بوجود الله تعالى موجود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله تعالى بانوار متابعته كل باب مسدود لمن حافظ على الاحكام الشرعية واقام الحدود وعلى[٤] اصحابه وتابعيه[٥] وانصاره واحزابه الموفين بالعهود وسلم تسليماً[٦] . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني ابن اسماعيل ابن[٧] النابلسي اخذ الله تعالى بيده وامده بمدده هذه رسالة عملتها[٨] في تحقيق المعنى المراد عند اهل الله المحققين الامجاد باطلاقهم وحدة الوجود . وقولهم بانه لا شي معه[٩] تعالى موجود . وبيان صحة هذه المقالة . ونفي ما عداه من ضلالات[١٠] اهل الغواية والجهالة . والحكم على ما يخالف ذلك بالاستحالة وسميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود . ومن الله تعالى استمد الاعانة . على هذه الابانة . وهو حسبي ونعم الوكيل . والله يقول الحق ويهدي السبيل . اعلم ان هذه المسئلة هي[١١] مسئلة وحدة الوجود قد اكثر العلماء فيها الكلام قديماً وحديثاً وردها[١٢] قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبلها قوم آخرون عارفون محققون ومن ردها انما[١٣] ردها لعدم فهمه[١٤] معناها عند القايلين بها وتوهمه منها المعنى الفاسد فلا التفات لرده كاينا من كان لصده عن الحق وانما رده في رده في حقيقة الامر[١٥] واقع على ما فهمه من المعنى[١٦] الفاسد لا على هذه المسئلة فهو الذي صرّ الضلال ورده . واما القايلون بها فانهم العلما المحققون والفضلا العارفون اهل الكشف والبصيرة الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ

١) ب يزيد : والله بكل شي قدير
٢) ت : الجهود
٣) ا حذف مفقود
٤) ا يزيد آله
٥) ا يضع اتباعه
٦) ا حذف سلم تسليماً
٧) ا حذف ابن
٨) أ علمتها
٩) ا ت مع الله .
١٠) ا الضلالات
١١) ا وهي
١٢) ا ردّ
١٣) ا فانما
١٤) ا فهم .
١٥) ا في الحقيقة
١٦) ا معنى

الاكبر محيي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين ابن الفارض والعفيف التلساني والشيخ عبد الحق بن سبعين[١٧] والشيخ عبد الكريم الجيلي وامثالهم قدس الله اسرارهم وضاعف انوارهم فانهم قايلون بوحدة الوجود هم واتباعهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى (2r) وليس قولهم بذلك مخالفاً[١٨] لما عليه ايمة اهل السنة والجماعة وحاشاهم من المخالفة وانما المنكر عليهم وعلى امثالهم انكر من قصور فهمه . وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه بان علومهم[١٩] مبنية على الكشف والعيان . وعلوم غيرهم[٢٠] مستعارة من الخواطر الفكرية والاذهان. وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح . وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح . ونهاية علومهم الوصول الى شهود حضرة الحيّ القيوم . ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظايف وجمع الحطام الذي لا يدوم . فلا طريق الا طريق السادة الايمة الهداة القادة . ولا اعتقاد الا وحدة الوجود : على المعنى الصحيح[٢١] الموافق المشهود[٢٢] . والواجب[٢٣] على كل مكلف ان يبحث عنه ويتحقق به على الوجه[٢٤] التام . ويحتفظ[٢٥] عليه . ويترك ما عداه من اقوال علماء الكلام . لان القول الحق . والاعتقاد الصدق . والواجب ايضاً حمايته من طعن الطاعنين . وذم الجاهلين له المتكلمين فيه من غير معرفة به الضالين المضلّين واعلم انه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف[٢٦] ما عليه ايمة الاسلام بل المراد بذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام وما هو معلوم من الدين بالضرورة من غير انكار اصلا من مومن ولا كافر ولا يتصور فيه انكار عند العقلا من الانام بان[٢٧] جميع العوالم كلها على اختلاف اجناسها[٢٨] وانواعها واشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها محفوظ عليها الوجود في كل لحة بوجود الله تعالى لا بنفسها . واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لحة هو[٢٩] وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجود

---

١٧) ا حذف سبعين
١٨) ب مخالف
١٩) ا كلامهم
٢٠) ت وعلومهم غير مستفادة
٢١) ا حذف الصحيح
٢٢) ا ب للشهود
٢٣) ت فالواجب
٢٤) ت وجه
٢٥) ا يتحفظ
٢٦) ا خلافاً
٢٧) ت ان
٢٨) ت باجناسها
٢٩) ا وهو

الله تعالى فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الاصلي . واما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة (به وجود)[٣٠] واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها من جهة نفسه اصلا . وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها | وصورها بل المراد ما به ذواتها |[٣١] وصورها ثابتة في اعيانها وما ذلك الّا وجود الله تعالى باجماع العقلا واما ذواتها وصورها من حيث (٢٧) هي في انفسها مع قطع النظر عن ايجاد الله تعالى لها بوجوده سبحانه فلا وجود لأعيانها اصلا . واما القايلون من علما الرسوم وعلما الكلام بان الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث فمرادهم بالوجود الحادث . نفس اعيان الذوات والصور فقط ولهذا كان مذهب الاشعري | رحمه الله تعالى |[٣٢] بان وجود كل شيء عين ذات ذلك الشي لا زايد عليه كما تقرر في موضعه[٣٣] واما الوجود الذي به تلك الذوات والصور موجودة فلا شك بانه وجود الله تعالى عند جميع العقلا. بلا خلاف وكلام المحققين من اهل الله تعالى عن هذا الوجود لا عن الوجود الذي هو عين ذات الموجود فالخلاف في رد القول بوحدة الوجود وقبوله مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود | فمن فسره بعين ذات الموجود يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودًا حادثًا هو عين ذات الموجود الحادث ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود[٣٤] محض خطا[٣٥] لان هذا الوجود الحادث | الذي يزعم انه وجود ثان[٣٧] غير وجود الله تعالى قايم عنده ايضاً[٣٨] بوجود الله تعالى فرجع الوجود كله الى وجود الله تعالى عنده ايضاً ومن فسّر الوجود بما صار به الموجود الحادث موجودًا | فانه يقبل القول بوحدة الوجود ويعتقده[٣٩] حقا وهو الصواب الذي ترجع[٤٠] اليه الاقوال[٤١] جميعها لان وجود الله تعالى هو الذي به كل موجود موجود[٤٢] باجماع العقلا فالخلاف في ذلك لفظي راجع الى تفسير

---

٣٠) ا ت بوجوده تعالى فوجود الله تعالى ووجودها (ت يزيد هنا التي) هي موجودة به وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها .

٣١) ا حذف ٣٥) ت خطاء ٣٩) ب ويعتقد

٣٢) ت حذف ٣٦) ا يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودًا حادثًا . ٤٠) ا ت يرجع

٣٣) ت مواضيعه ٣٧) ب ت ثاني ٤١) ا الافعال

٣٤) حذف ٣٨) ت حذف ٤٢) ا موجودًا

المراد من لفظ الوجود وكلام المحققين من اهل الله تعالى في مسئلة الوجود من اعلى عليين وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين[٤٣] وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث اقرب الى التحقيق فانه لا غنا للوجود الممكن عن الموجود القديم اصلا فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن وصورته غير الموجود القديم فهما اثنان والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد هو للقديم[٤٤] بالذات وللحادث[٤٥] بالغير فالقـديم موجود وبوجود هو عين ذاته والحادث موجود ويوجود هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم (3r) | ولا القديم هو عين | ذات الحادث بل كل واحد منهما مباين للآخر في ذاته وصفاته وان اجتمعا في الظهور بالوجود الواحد وثبوت العين به فان الوجود الواحد للقديم[٤٦] بذاته وللحادث[٤٧] بالقديم لا بذاته فالوجود الواحد في القديم وجود مطلق على وجه لا اعظم منه وفي الحادث وجود مقيّد على وجه يليق بالحادث ادنى من الوجـه الاول دنوا صادرًا من جهة الحادث[٤٨] لا من جهة القديم وتقريب ذلك برؤية النجم الذي في السما صغيرا عند اهل الارض مع عدم تغيّره[٤٩] من الكبر الذي هو فيه فالكبر اذا ظهر بضده وهو الصغر من البعد لا يلزم ان يكون قد تغيّر عما هو عليه وكذلك وجود الله تعالى المطلق اذا ظهر على الحوادث المفروضة المقدرة وجودًا مقيّدًا لا يلزم ان يكون قد تغيّر عما هو عليه من اطلاقه فانه وجود مطلق لا ينقسم ولا يتغيّر وكيف المعدوم بغير الموجود[٥٠] الحق وانما التغير والتبديل واقع في الـذوات الحادثة وصورها فالله تعالى يغيّرها كيف شاء وينقلها من عدمها الاصلي الى وجودها الطارى الذي هو وجوده سبحانه فتتصف بوجوده[٥١] سبحانه على حد ما يناسبها كما كانت متصفة به في الوجود العلمي من غير ان ينقسم وجوده سبحانه ولا يتغير بسبب هذا الاتصاف المذكور كما ان الما الصافي اذا فرضناه وقدرنا انا وضعنا فيه زاجا فانه يصير اسود اللون من غير ان يتغير هو في نفسه ولا زال عنه صفاؤه وكذلك اذا فرضنا وقدرنا ان فيه زنجفرا فانـه يصير احمر اللون

---

٤٣) ا السافلين — ٤٤) ا القديم — ٤٥) ا الحادث

٤٦) ا القديم — ٤٧) ا الحادث — ٤٨) ب ت الخلاف

٤٩) ا تغيره — ٥٠) ا الوجود — ٥١) ب بوجود

وهكذا جميع الالوان والما لا يتغير اصلا في نفسه ولا يزول صفاءه عنه وهما شيئان ما وزاج او ما وزنجفر لا شيء واحد ولكنه ما محقق وزاج او زنجفر مفروض مقدورهما موجود ان بوجود واحد وهو وجود الما فقط وليس الزاج المفروض المقدر او الزنجفر موجودا بوجود[52] اخر غير وجود | الما بل لا وجود له اصلا مع وجود الما |[53] والوجود للما وحده ولكن استعير الزاج المفروض المقدر او الزنجفر وجود الما. لكونه مفروضا مقدرا فيه وليس ذلك مخرجاً للما | عن وحدته الحقيقية بسبب |[54] (٣٢) كونه[55] مفروضاً مقدرا فيه[56] ولا حل في الما شي ولا اتحد الما مع ذلك الزاج المفروض المقدر ولا الزاج مع الما وانما هما حقيقتان ما حقيقي موجود بنفسه وزاج او[57] زنجفر مفروض مقدر لا وجود له بنفسه بل بوجود[58] الما الفارض[59] المقدر له فيه واذا كان الوجود واحدا مشتركا بحسب الظاهر بين الموجود المحقق وهو الما وبين المفروض المقدر وهو الزاج او الزنجفر فلا يمتنع ان لا يكون مشتركا اصلا في حقيقة الامر كما ان اللفظ الواحد اذا كان مشتركا في الاستعمال بين معناه الحقيقي الموضوع له ومعناه المجازي الغير موضوع[60] له لا يمتنع ان لا يكون مشتركا اصلا في الوضع بل الوجود[61] هو وجود الما المحقق وحده والزاج او الزنجفر المفروض المقدر له وجود آخر مفروض مقدر مثله هو عين ذاته ونفس صورته مثل ما قال الاشعري | رحمه الله تعالى |[62] او[63] زايد على ذاته وصورته كما قال | الفخر الرازي |[64] مما[65] هو مذكور في موضعه من علم الكلام في مبحث الوجود فان القايلين بوحدة الوجود مرادهم بالوجود الوجود[66] الذي به[67] صار الموجود موجوداً لا الوجود الذي هو مفروض مقدر للممكن من جنسه فافهم هذا المثال ولله المثل الاعلى في السموات والارض

٥٢) ا نسبها
٥٣) ب ت موجود . وهنا ا حذف ما بين الهلالين .
٥٤) ا اسقطها .
٥٥) ا لكونه
٥٦) ا يزيد هنا : عن وحدة الحقيقة بسبب كونه مفروضا مقدارا فيه
٥٧) ا وَ
٥٨) ا وجود
٥٩) ا الفارض
٦٠) ا الموضوع
٦١) ا الموجود
٦٢) ت حذفها
٦٣) ا ت و
٦٤) ا فخر الراضي
٦٥) ا كما
٦٦) ا حذفها
٦٧) ا وضعها بعد الموجود

وبيان ذلك المثال بان الوجود الحق عين ذات الحق[٦٨] تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزى ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتبدل اصلا وهو مطلق من الكيفيات والكميات والاماكن والازمان والجهات ولا يتصور فيه الحلول في شي اذ ليس معه شي.[٦٩] غيره ولا يتحد مع شي. اذ لا شي معه وانما جميع الاشيا به موجودة وبوجوده الذي هو عين ذاته ثابتة[٧٠] مشهودة وجميع الاشيا. بالنظر الى ذواتها مفروضة مقدرة مثل الزاج او الزنجفر في مثالنا المذكور وان اثبتنا لها وجودًا آخر غير وجوده تعالى مثل ما يقول به علما الرسوم وعلما الكلام سوا. كان ذلك الوجود عين ذاتها او زايد على ذاتها فان ذلك الوجود مفروض مقدر ايضاً مثلها فينتقل الكلام الى ما به ذلك الوجود المفروض المقدر موجودًا[٧١] ايضاً وهو وجود الله تعالى بلا شك ولا ريب ويضطر الكل الى القول بوحدة الوجود على[٧٢] (٤٢) ما ذكرناه فيقال لعلما الرسوم وعلما الكلام كيفما قلتم في وجود ما سوى الله تعالى من العوالم نقول لكم كل ذلك كاين[٧٣] (قايم) بوجود الله تعالى وهو مفروض مقدر في نفسه لانه مخلوق فهو بالنظر الى ذاته عدم صرف وانما وجوده بوجود الله تعالى فالوجود لله تعالى وحده وان وجد به ما سواه كما نقول لمن قال لنا يلزم على قولكم الجبر في افعال المكلفين ونفي الاختيار عنهم كيف تقولون انتم في افعال المكلفين فنحن نقول مثلكم ومعلوم انكم تقولون ان العبد له جزء اختياري وبذلك صار له مدخل في افعاله فنقول لكم نحن كلامنا عن جملة ذلك فان الله تعالى خالق الكل والخلق الفرض والتقدير فترجع الى مسئلتنا وحدة الوجود والمفروض المقدر كيفما فرضناه وقدرناه محتاج الى الوجود ولا وجود الا وجود الله تعالى فهو موجود بوجود الله تعالى مع انه عدم صرف في نفسه وهذا الوجود المفروض المقدر للاشيا. اما عين ذواتها او زايد عليها الذي تقول[٧٤] به علما الرسوم وعلما الكلام ويجعلونه وجودًا ثانيًا لوجود الله تعالى ويردون به على القايلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين لا يضر العارفين القول به ايضاً

٦٨) ت الله .
٦٩) ا يزيد من
٧٠) ا حذفها
٧١) ا مفروضاً ب موجود
٧٢) ا حذفها
٧٣) ب يزيد حسب
٧٤) ا يقول

بل هم قايلون به[٧٥] اتمام المضاهات بين العالم والمعلوم والصانع والمصنوع على التنزيه التام ولا يمتنع عليهم اثباته كما اثبتوا للمعلوم والمصنوع نظير[٧٦] ما للعالم والصانع من الصفات والاسما ولا يطعن ذلك في صدق قولهم بوحدة الوجود فان كلام العارفين[٧٧] المحققين عمّا به كل الموجودات موجودات الذي لولاه لما كان في الوجود موجود اصلًا لا معقول[٧٨] ولا محسوس[٧٩] الذي جميع الموجودات في نفسها مع قطع النظر عن وجوده القيوم عليها لا وجود لهـا اصلًا اذ ليس في قوة المخلوق ان يخلق نفسه وهو وجود الله تعالى الحق وحـده لا شريك له ولا يتصور فيه سبحانه ان يَحُلّ فيما فرضه وقدره من جميع المخلوقات ولا بعضها اصلا لانّ المفروض المقدر في نفسه عدم صرف وكيف الوجود[٨٠] يحل في العدم وكذلك لا يتصور ان يتحد معه اصلا لان الحقيقتين متباينتان (47v) تباينا كلياً بحيث لا مشابية بينهما اصلا فحقيقـة الحق وجود صرف مطلق حتى عن الاطلاق لانه قيد وحقيقة المفروض المقدر عدم صرف مقيد وانما وجود المفروض المقدر ان قلنا به كما قالت[٨١] به علما الرسوم وعلما الكلام فهو مفروض مقدر ايضاً فحقيقته عدم صرف ايضا لو عقل القايلون بذلك والامر كله راجع على كل حال الى وجود الله تعالى عند الجميع فوجود الله تعـالى هو وجود الوجود والوجود كله بلا وجوده تعالى عدم صرف فلا وجود الا وجوده تعالى فكلهم قايلون بوحدة الوجود طوعاً او كرهاً وانما قلنا بان جميع المخلوقات مفروضة مقدرة لان الخلق معناه الفرض والتقدير كما قال الله[٨٢] تعالى وخلق كل شي. فقدره تقديرًا وان كان معناه الايجاد الذي ينتج الوجود فهو الوجود المفروض المقدّر فيرجع الى انه وجود مفروض مقدر وعلى كل حال لا مساواة[٨٣] بين وجود الله تعالى ووجود جميع المخلوقات الذي هو بوجوده تعالى لا بنفسه وكون وجود المخلوقات كلها بوجود الله تعالى ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها | كما ذكرنا | [٨٤] | لا ينافى ان وجود المخلوقات كلها | [٨٥] بقدره الله

٧٥) ا يزيد بوجود الحق ٧٩) ا محسوساً
٧٦) ا نظيرًا . ٨٠) ا حذفها ٨٣) ا مساوات
٧٧) ا العافرين ٨١) ا قالوا ٨٤) ا يزيد بقوة الله تعالى
٧٨) ا معقولًا ٨٢) ا ب حذفا الله ٨٥) ا يزيد بوجود الله تعالى
ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها بقدرة الله تعالى وارادته .

تعالى وارادته وعلمه وحياته وبقية صفاته لان كلمة وحدة الوجود اختصار في الكلام عند العارفين واجمال فيه وتفصيلها ما عند علما[٨٦] الرسوم وعلما الكلام من بيان صفات الله تعالى | وشرح اسمائه سبحانه فان صفاته تعالى أ [٨٧] لما كانت عندهم ليست | عين الذات ولا غيرها ولم يقل احد من اهل السنة بمغايرتها لذاته تعالى حتى المغايرة الموجبة للترتيب اطلق عليهـا وجود الله تعالى فكان القول بان وجود الله تعالى به وجود كل شيء على معنى خلق وجود كل شيء وفرضه وتقديره قولا باثبات الصفات لله تعالى على حـد ما يقول علما[٨٨] الرسوم وعلما الكلام بلا خلاف والحاصل ان جميع علما الظاهر لا حق معهم في الطعن على القايلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين القايلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا واما القايلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين[٨٩] (5r) والزنادقة الملحدين الزاعمين بان وجودهم المفروض المقـدر هو بعينه وجود الله تعالى وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها [ذات الله تعالى وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها] [٩٠] صفات الله تعالى الذين يحتالون بذلك على اسقـاط الاحكام الشرعية عنهم وابطال الملة المحمدية وازالـة التكليف عن نفوسهم فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هـذا المعنى الفاسد طعن صحيح وعلما الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب والعارفون المحققون معهم في هذا الطعن من غير خلاف وقد اشار اليهم الشيخ عبدالكريم الجيلي قدس الله سره في كتابه شرح الخلوة في اوايله من الوصايا حيث قال يا اخي رحمك[٩١] الله قد سافرت الى اقصى البلاد وعاشرت اصناف العباد فما رات عيني ولا سمعت اذني اشر ولا اقبح ولا ابعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعى انها من كُمَّل[٩٢] الصوفية وتنسب نفسها الى الكُمَّل[٩٣] وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تومن بالله ورسوله[٩٤] ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر احوال الرسل وما جاوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف من وصل الى مراتب اهل الكشف والعيان ورأينا منهم جماعة كثيرة

٨٦) أ العلماء
٨٧) أ حذفها
٨٨) أ العلما
٨٩) أ القايلين
٩٠) أ حذفها
٩١) ت سلـك
٩٢) ب كمال
٩٣) أ ب الكمال
٩٤) أ ب ورسله

من اكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان[٩٥] وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم فانه الله[٩٦] يا اخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطايفة لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة وان لم يتيسر لك ذلك فاجتهد[٩٧] ان لا تراهم ولا تجاورهم فكيف ان تعاشرهم[٩٨] وتخالطهم وان لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي انتهى . وكلامه[٩٩] هذا عن القايلين بوحدة الوجود على حسب ما ذكرناه من المعنى[١٠٠] الفاسد ولكن علماء الظاهر اذا ترقوا من الطعن في هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية الى الطعن في تلك السادة الايمة العارفين المحققين يظنهم انهم يقولون بوحدة الوجود مثل قولهم كان ذلك امرا شنيعاً في الدين لا يرضى به مَن يومن بالله واليوم الآخر (٥٧) فان السادة الايمة العارفين من كتبهم ومصنفاتهم مشحونة باثبات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحا واشارة والحكم بانه غير الوجود القديم وان كانوا قايلين بوحدة الوجود غير انهم تارة يغلب عليهم شهود الوجود الحق[١٠١] الذي به كل شيء موجود فينفون ما عداه ويقولون عما سواه انه خيال وانه سراب وانه هالك فان[١٠٢] مضمحل زايل لا وجود له اصلا وهم صادقون[١٠٣] في ذلك كله لان كل ما سوى الحق تعالى انما وجوده مفروض مقدر بالاجماع لانه مخلوق والوجود المفروض المقدر عدم صرف في نفسه وانما الوجود المحقق وجود الحق تعالى وحده الخالق اي الفارض المقدر لكل شيء او الموجد بطريق الفرض والتقدير لكل شيء. ولا يقال لو كان كل شي من هذه المخلوقات مفروضا مقدرا لما كان كما نشاهده محسوسا ومعقولا ثابتا موجودا محققا لانا نقول فرضُ الله تعالى وتقديره لوجودات الاشيا في اعيانها ليس كفرضنا[١٠٤] وتقديرنا نحن للشي | [١٠٥] المعدوم وقد جعل الله تعالى ما نفرضه ونقدره انزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالا لما يفرضه الله

٩٥) ا ب شروان
٩٦) ا فانّه
٩٧) ا ب اجهد
٩٨) ت تعاشرهم
٩٩) ت كلامه (دون الواو)
١٠٠) ا معنى
١٠١) ا ب زادا الحقيقي
١٠٢) ا وانه
١٠٣) ا وهم لما صار قولهم في ذلك كله
١٠٤) ا ت يزيدان نحن
١٠٥) ا والتقدير للشي المعدوم

تعالى ويتقدره من وجودات الاشيا. المعدومة وانما انزل منه تعالى في الوجود ولا يجوز الطعن على احد من العارفين وان جهل الجاهل قولهم فان الجهل للشريعة والدين الحق في مذهب ذلك الجاهل ليس بعذر بل الواجب عليه التعلّم عنده فاذا حكمنا على الجاهل بما[١٠٦] يرى في مذهبه حكمنا بكفره حيث انكر ما هو الحق على اهل الحق[١٠٧] وان لم يعلم بمعنى ما انكره واقلّ شي. الاثم والمعصية في ذلك لما قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والندا. كل اولئك كان عنه مسؤلا ومن الواجب على المومن ان يُحمِل اخاه المومن على الكمال حسبا[١٠٨] امكن ولا[١٠٩] سيما في حق اهل المعارف والحقايق والعلوم الالهية فانهم اوليا الله تعالى ومعاداة[١١٠] اوليا الله تعالى معاداة[١١١] الله تعالى ومعاداة[١١١] الله تعالى كفر لا محالة كما قال الله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين والجاهل (6r) الذي لا يعرف علوم الاذواق وانما علمه الذي هو غير عامل به[١١٢] مأخوذ من الكتب والاوراق لا مندوحة عن الانكار وهو تحسين الظن باهل الله تعالى والاعتراف بانهم اعلم منه بالله[١١٣] وانه جاهل بكلامهم فلا ضرورة له في الانكار عليهم مع علمه بكفر من انكر الحق اجماعا ولو اردنا ان نستدل على ثبوت وحدة الوجود بالمعنى الصحيح الذي ذكرناه لطال الكلام في ذلك بايراد الايات القرآنية والاحاديث النبوية وكلام العلما[١١٤] السادة المحققين من اهل الظاهر والباطن ولكن قصدنا الاختصار وفيما ذكرنا كفاية وقد وقفت للمتأخرين من العلما على رسايل كثيرة في بيان وحدة الوجود والاستدلال على صحة القول بها واطالة الكلام بتحقيق هذا المرام وانا ارجو ان من تحقق بما حررناه في هذه العجالة من فتوح الوُقت[١١٥] ان يفهم المقصود من عبارات علما الظاهر وعلما الباطن في هذه المسئلة فانها اصل عظيم من اصول التحقيق في مواجيد الصالحين واشارات اهل الكمال من اصحاب اليقين فانها

---

١٠٦) ا ب بما

١٠٧) ا الله

١٠٨) ا حيثما

١٠٩) ت لا (دون الواو)

١١٠) ا معادات

١١١) آ معادات

١١٢) ا ب زادا ايضاً

١١٣) ا يزيد تعالى

١١٤) ا يضمها بعد السادة

١١٥) ت الوقت

هي التوحيد الشرعي الذي بُنيت عليه جميع اعمال المخلصين وما عدا ذلك فالشرك الخفي الذي هو مبنى اعمال الناقلين ولهذا نقل العارف المحقق الشيخ احمد القشاشي[١١٦] المدني رحمه الله تعالى في رسالته في وحدة الوجود عن ابن كمال باشا رحمه الله تعالى ومن خطه نقل[١١٧] كما صرّح بذلك انه يجب على ولي الامر ان يحمل الناس على القول بوحدة الوجود انتهى . وتقريره[١١٨] ان يحمل الناس على القول بالتوحيد الخالي من الشرك الخفي الذي اشار اليه الشيخ العارف ارسلان رضى الله[١١٩] عنه في اول رسالته بقوله كلك شرك خفي ولا يبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك وقد استوفينا الكلام على الشرك الخفي في شرحنا على رسالة الشيخ ارسلان بحسب الامكان والله[١٢٠] المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين مع التابعين وتابعي التابعين[١٢١] باحسان الى يوم الدين تمت[١٢٢] قال | المؤلف اطال الله بقاء | [١٢٣] كان تصنيفنا[١٢٤] لهذه الرسالة المباركة ان شاء الله تعالى في[١٢٥] (٥٧) مجلسين قليلين من ليلة الجمعة ويوم الجمعة الثاني عشر من شعبان سنة احدى وتسعين والف بالخير والحمد لله وحده[١٢٦] | على كل حال مدا الايام والليال[١٢٧] ◆ [١٢٨]

١١٦) ا ب القشاشي ١١٧) ت نقله

١١٨) ا ب تقديره ١١٩) ا يزيد تعالى

١٢٠) ا ت باقه . ا يزيد تعالى ١٢١) ا يزيد لهم .

١٢٢) ا ب حذفاها

١٢٣) ت يضع : قال مصنفها رضي الله تعالى عنه و ا يزيد وارضاه

١٢٤) ت تصنيفها

١٢٥) ا حذفها

١٢٦) ب حذفها

١٢٧) ا حذفها

١٢٨) هنا ا يزيد : اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ولمن كُتِب له ولجميع امة محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا ارحم الراحمين . — ويزيد :

انهم رموزي ولا تقف برموزي حق بادي في السر والاعلان . وبعد ذلك : المراد بالاتحاد في لسان القوم فناء مراد العبد في مراد الحق فلا يصير للعبد مراد مع الحق ابدًا الا بحكم التبعية .

ويزيد ت في آخر الرسالة : صلى الله على من لا نبي بعده . تمت صح صح صح في ١٦ سنة ١١٩٢ . وقد كان كتب قبلا : تمت بعون الله تعالى في ١٧ ص سنة ١١٩٢

وهاكم القصيدة التي زادها ا في الصفحة الثامنة :

يا لائمي لو بذلتُ الروح مجتهدا　　وجملة المال والدنيا وما فيها
وجنةُ الخلدِ والفردوس واجمعها　　بساعة الوصل كان القلب يُذريها
لا تسلكنَّ طريقًا لست تعرفها　　بلا دليل فتهوى في مهاويها
ظننت ان الهوى سهل طريقته　　او المحبة اسماء نسميها
الروح اول موجودٍ تجودُ بها　　والنفس ايسر شي فيه تفنيها
وما عليك اذا ماتت بغُصَّتها　　من الغرام فان الوصل يُحييها

للشيخ المغربي قدس الله سره :

لقد كنّا حروف عاليات　　تزلنا في سطور سافلات
ظهرنا بعد ما كنا خفيًا　　وصرنا الآن كل الكائنات
وما الاكوان الا نحن حقًّا　　فانا كائنات ممكنات
اذا صرنا العوالم والمراتب　　وذا ثم اسماء الصفات
تحجبنا بنا عنا لدينا　　وقفنا بعده في المشكلات
نسينا عهد ايام الوصال　　ولم نذكر عهود السابقات
رسول جاء منا بعد ذلك　　علينا منبئ بالمعجزات
دعانا منا الينا　　سمعنا فاستجبنا للنجات
رجعنا كلنا منا الينا　　وصرنا وارتقينا عن جهات
عبرنا عن نفوس زاكيات　　وعن رتب الذوات القابلات
وصلنا واتصلنا واتحدنا　　بذات العين صرنا عين ذات
وفي التفصيل لم يوجد سوانا　　ولم يوجد كذا في المجملات
وجدنا المغربي شمسًا وبدرا　　واجرام النجوم الثابتات — تمت —

الرسالة المشفية للامراض المشكلة

في المراقيا

رسالة طبيَّة خطيَّة

تأليف

أحد العلماء المتبحّرين وأمجد الفضلاء المدققين

أوحد زمانهِ وجالينوس عصره وأوانهِ

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عُنيَ بنشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تصدير

لا يخفى عن الأذهان ، أنَّ الانسان وَلِعٌ بالحياة ، حريص على التذرّع بالوسائط والوسائل التي تضمن لهُ العمر المديد ، فتراهُ يقظاً الى العلل والعوامل الهدَّامة التي من شأنها السطو على العافية خشية انتزاعها منه وسوقها اليه جيوش الامراض الفتَّاكة ، فيعدُّ العدة لمقاتلتها ومجابيتها ، اتقاء لاخطارها واهوالها ، ويهرع الى الطبيب يستصرخه لاعانته ومساعفته بخبرته وادويته في دفع اضرارها ، لئلا يستفحل امرها ويستطير شرها وتباغته بوبقاتها على حين غرَّة وتصرعه شر صرعة ، لذلك يستأمنه مستسلماً اليه ، ومتوكلًا عليه ، باذلًا له ما وسعه من جَنى يديه ، وهو يحسب نفسه انه اصبح بمنجاة منها لتحصُّنه في أمنع المعاقل ، فلا تصيب منه سهام الآفات المقاتل .

وحبُّ البقاء نزعة او غريزة في المرء يفرغ في الحفاظ عليه كنانة جهده .

ولو استطاع الاستئثار بالحياة لبذل كل غالٍ ورخيص في هذا السبيل وأضحى يأمن من عوادي الزمن وطوارئ المحن ، ما خلا فئة من المتزهدين والمتنسكين قد كلفت بجمال الخالق ، فصدفت عن جمال الحياة ومحاسنها ، وازدرت جسام الامراض والافات ، ورغبت في الانعتاق من سجنها، توصلا الى نيل بغية قلبها.

ومهما قطع المرء من اشواط العمر ، لا يزال عالق القلب بأسباب الحياة شغفاً بحبها ، متمسكاً بأذيال الطبيب ، لئلا تقطع عليه المنون لذة الاستمتاع بباهجها ومفاتنها التي لا تشبع نهمه، وهي سنة الله في خلقه من قبل ومن بعد.

ومن البديهي ان الامراض والآفات تتأثر خطى المرء من المهد الى اللحد ، وكثيراً ما تروعه بدلائلها واعراضها التي هي مقدمة لنتيجة مفاجأتها له بخيلها ورجلها ، فتشتد عليه الكرب وتساوره الغصص ويقيمه الذعر ويقعده ، وليس له من رجاء بالتغلب عليها الّا بواسطة الطبيب ، لذلك راح الموسرون ينشدون وينفتشون عن مهرة الاطباء للياذ بكنفهم لوقايتهم من ضربات هذا العدو المردية.

وللامراض في كل حين وحال ، قصف وعزيف ، ورعد ودوي ، وللاطباء في كل زمن ، كرّ وفرّ ، واقدام واحجام ، وفشل وامل ، وانتصار وانكسار ، لا يخنعون للآفات ، ولا يستكينون للملمّات ، ولا يملون من البحث والاستقراء احرازاً للظفر عليها . ومن الاطباء من تألقت شهرتهم وتحدث الناس بخبرتهم فزحفت اليهم مئات المرضى من جميع الاصقاع ، على اختلاف النحل والمذاهب يستعيذون بهم حالما تنتابهم الآلام وتنزل بساحتهم الاسقام .

وقد يبرع واحد في فنّ من فنون الطب يقصر عنه فيه الاخر ، ويكون هذا البارع مختصاً منفرداً بمداواة هذا المرض دون سواه ، لاكبابه على دراسته وطول تمرّنه على طرق معالجته ، ويتردد ذكر براعته ومهارته على السن الذين الذين نالوا الشفاء بطبّه، فتطير شهرته ويتألب حوله اصحاب الآفات والامراض يرقبون البسمة على وجهه وكلمة الطمأنة من فمه .

ه

ومن العلل التي تفشت وانتشرت انتشاراً واسعاً ، علّة « المراقيا » وكان من فرائسها عددٌ ليس بقليل ، وقد حار بأمرها الاطباء ووقفوا بازاء معضلاتها

مكتوني الايدي ، ممّا اهاب بأحد اطباء القرن التاسع عشر في القسطنطينية ، الحكيم البارع ، اللوذعيّ اللامع ، « احد العلماء المتبحرين ، واجد الفضلاء المدققين ، اوحد زمانه ، وجالينوس عصره واوانه[١] » ، الحكيم فيضي مصطفى افندي ، الى التعمق في درس هذه العلة واختبار العلاجات الناجعة فيها ، وما يتطلبه سقيمها من توقية وتغذية ، مما حمله على ان يضع رسالة في علة المراقيا كافية شافية وجامعة مانعة . وقد فحص ومحّص اراء اطباء الشرق والغرب في مداواة هذه العلة ، فكشف الرغوة عن الصريح ، وحل عقدها وفكّ شكالاتها وبسط اسبابها وأعراضها مبيّناً العلاجات الملائمة لها . وهو نفسه قد ابتلي بها ، على ما ذكرهُ في مطاوي رسالته هذه ، فأتت معلوماته فيها مبنية على اسّ الحقيقة والاختبار ، وما يُنبئك مثل خبير . وقد سمّى رسالته : « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » . وفي هذا العنوان دليل واضح على ان المراقيا من العلل المستعصية الشفاء ، الجديرة بالتبصُّر والتفكير والاهتمام والاستقصاء .

وقد رجع اليوم اطباء الفرنج الى التفتيش عن كتب الطب العربية الخطية وابتياعها والعكوف على درسها والتنقيب فيها ، واللجوء اليها في مشاكل الامراض وصعابها . وربّ وصفة بسيطة في هذه الكتب ، أتت بفائدة عظيمة كما صدق بالامتحان ، وفيه يكرم المرء أو يهان .

ح

قد رأينا نسخة من « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » عند حضرة الوجيه الاديب فيليب الخوري بطرس يزبك (حدث ، بيروت) نقلها عن كتاب طبي خطي منسوخ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٠ هجرية (سنة ١٨٣٤ مسيحيّة) غير مثبت فيه اسم كاتبه ولا اسم مؤلف هذه الرسالة . طالعناها فوجدناها مختصرة جداً .

وقيّض الله لنا العثور عليها كاملة ، في كتاب طبّ خطيّ يسمّى « كتاب الاقتضاب »[٢] عند حضرة صديقنا الفاضل العالم ، الخوري ميخائيل عقل اللبكي

١) كذا نعته اترابه وعلماء عصره

٢) منه نسختان خطيتان ، في مكتبة دير الشير العامرة ، للرهبان الحلبيين الملكيين ، في مكين — سوق الغرب

في بعدات ، فاذا بزائف هذه الرسالة يثبت اسمه في مستهل مقدمتها ، فانتسخناها عن هذا الكتاب بحرفها الواحد، وصحّحنا اغلاطها النحوية ولم نتعرّض لعبارتها.

اما كتاب « الاقتضاب » فهو لابي نصر سعيد بن ابي الخير المسيحي ، وهو مختصر الفصول ، موضوع على طريقة السؤال والجواب . يقع في ١٢٤ صفحة ، مكتوب بالخط العربي ، على ورق عادي ، وبالحبر الاسود ، قد امتدّت يدٌ عمدًا فمحت اسم ناسخه على قفا اول صفحة منه ، وتكرّمت فأبقت تاريخ انجاز نسخه ، في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ . طوله ١٥ سنتيمترًا ونصف ، بعرض ١٠ سنتيمترات ونصف . مجلد بجلد اسود منقوش ، وقد عُلّقت بعض وصفات طبية في اوله ، في ثماني صفحات ، ومثلها في اخره في ثلاث صفحات ، سيأتي ذكرها .

ولا بأس من ايراد كلمة ايضاح عن هذا الكتاب ومشتملاته .

جاء في اوله بعد ذكر فهرس مواده :

بسم الله الحي السرمدي العديم النهاية

« نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، بنسخ كتاب الاقتضاب ، المجموع على طريقة المسئلة والجواب، تصنيف السيد الاجلّ ، الشيخ الرئيس الاوحد العالم ، الفيلسوف الكامل، الاركدياقي الفاضل ، اوحد زمانه ، وفريد عصره واوانه ، ابي النصر ، سعيد ابن ابي الخير المسيحي ، ابن عيسى المتطبب . رحمه الله تعالى امين . »

واليك فهرس فصوله :

في حدّ الطب واجزائه . في الامور الطبيعيّة . في الاركان . في المزاج واصنافه . في الاخلاط وعددها . في صفة الدم وطبيعته . في طبع البلغم واصنافه . في طبع المُرّة الصفراء واصنافها . في قوة المُرّة السوداء واصنافها . في الاعضاء واقسامها . في اصناف الاعضاء نظرًا الى قواها . في الاعضاء الرئيسة . في الاعضاء المرؤوسة بخدمته . في الاعضاء المرؤوسة بلا خدمة . في الاعضاء التي لا رئيسة ولا مرؤوسة . في اصناف الاعضاء نظرًا الى جواهرها . في الاعضاء المفردة . في الاعضاء المركّبة . في جملة عظام البدن . في الغضاريف . في الاعصاب وعددها ومنبتها . في الرباطات . في الاوتار . في الاغشية . في فصل العضل وعددها . في الاوردة . في الشرايين ومنبتها . في صفة الدماغ . في صفة العين واجزائها . في صفة الاذن . في صفة الانف . في الفم واللسان . في ما يعني بالحلق . في قصبة الرئة والحنجرة . في الاعضاء المعدودة من الحلق . في الصدر والرئة . في القلب . في آلة الغذاء . في المري والمعدة . في الامعاء . في الكبد . في المرارة . في الطحال . في الكليتين . في

المثانة . في آلات التناسل . في الانثيين . في القضيب . في الرحم . في الثدي . في اجناس القوى الطبيعية . في القوى الحيوانية . في القوى النفسانية . في الاصناف . في الروح واصنافها . في احوال البدن وكل واحد منها . في اجناس الامراض . في امراض سوء المزاج المتشابهة الاجزاء . في اجناس امراض التركيب . في امراض الخلقة . في امراض المقدار . في امراض العدد . في امراض الوضع . في امراض الاتصال . في اوقات الامراض والوقوف عليها . في اجناس الاسباب . في احساس النظر . في منفعة الهواء . في فصول السنة . في تغيير الهواء بسبب الكواكب . . . الخ الخ

وفي آخر كتاب الاقتضاب هذا ، تفسير اسماء بعض ادوية واعشاب ، بالعربية كثيرًا ما يرد ذكرها في كتب الطبّ الخطية ، ثمَّ تأتي « الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا » وهي في ٣٤ صفحة .

ولمَّا تصفحناها رأيناها ذات فوائد جزيلة ومنافع عميمة ، لم يسبق مؤلفها احد من اطباء العرب والعجم الى الاستقصاء والاستقراء والتدقيق في حسر النقاب عن هذه العلة بمثل هذا التوسع والتبسط ، فبرزت رسالة فريدة في بابها ، جديرة باعتبار طلابها ، احببنا ان نزفها الى قراء مجلة « المشرق » الاعزاء ، آملين ان يمن النظر في مضامينها اطباؤنا الالبّاء ، لانها تلقي نورًا ساطعًا على آفاق رحبة ، في اسباب علة المراقيا وكيفية تدبير مداواتها . وليس لنا من غرض من وراء نشرها سوى مجد الله الاعظم وتقريب فوائدها من الافهام والسلام .

جبيل – لبنان – دير سيدة المعونات
في ٢٧ شباط سنة ١٩٥٢

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

أما بعد فيقول احد العلماء المتبحّرين واجد الفضلاء المدققين (اوحد) زمانه وجالينوس عصره وأوانه ، فيضي مصطفى افندي ، ان الباعث لتأليف هذه الرسالة الصحيحة النصاب ، والنسخة الحكميّة الانتساب ، هو ان علة المراقيا غير السوداويّة والمراقيا السوداويّة قد كثر وقوعها في الناس الصغار والكبار. وغالب الناس ابتلت بها وقد غفلت اطباء العرب والعجم الفرق والتمييز ما بين هذين المرضين في كتبها ، اي المراقيا غير السوداويّة والمراقيا السوداويّة ولم يذكروا اسبابهما وعلاماتهما واعراضهما وعلاجاتهما كما ينبغي. ولكونهم ذكروا ما ذكروه في باب هذه العلة متفرقاً فيعسر الوقوف عليه من مؤلفاتهم في حين الاحتياج اليه . فباشرت انا الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، تأليف هذه الرسالة بعد الوقوف على ما وُجد عندي من تأليفات المتقدّمين ورسائليهم ونُسَخ تأليفات اطباء اللاتينيين الفضلاء الذين كتبوا في هذا الفن ، بعد ما سبق لي من المطالعة والمذاكرة مع فضلائهم ومباشرتنا علاج هذين المرضين المذكورين بالتجربات الصحيحة والتدابير الصائبة وبحسب القدرة والامكان جمعتُ هذه الرسالة وألفتها وسمّيتها « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » ورتبتها على تسعة فصول :

الفصل الاول

في بيان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا

وهو انه في بطن الانسان اللحوم الغددية تحت الحجاب الذي يقال له مراق من الاعضاء الباطنة حيث يعتريها سوء المزاج الحادّ فتأوف ، ولاجل ذلك سمّوها مراقيا تسمية للحال باسم المحل . والاعضاء الكائنة تحت الحجاب هي اربعة :

الاول : عروق الماساريقا .

الثاني : الكبد .

الثالث : الطحال .

الرابع : اللحوم الغددية التي هي في عروق الماساريقا .

لأن في هذه الاعضاء يوجد ريح كثير ، فلاجل ذلك يسمّونها : العلة الريحية ايضاً . إلا ان الحكماء المتقدمين من علماء العرب واطباء اليونان لم يفرقوا بين علة المراقيا السوداوية من غير السوداوية ، انما يقولون العلة المراقيا ، مراقيا سوداوية. غير ان حكماء اللاتينيين المتأخرين فرّقوا بينهما وميّزوهما والذين ابتلوا بعلة المراقيا يكون اكثرهم لم تَبِنْ فيهم علائم السوداء ، اثبتوا ذلك من هذا الوجه ، انما قالوا : بان علة المراقيا السوداوية قريبة للمراقيا .

الحاصل : ان اطباء اللاتينيين المتأخرين إدّعوا بان علة المراقيا في مرور الايام تتبدل بالمراقيا السوداوية واثبتوا ذلك من ثلاثة وجوه :

الاول : ان الاخلاط المُجتمعة في الاعضاء الباطنة تحترق من افراط حرارة الكبد فتستحيل الى السوداء .

الثاني : انه يعرض للطحال ضعف فلا يمكن جذب عكر الدم عن العروق والكبد وتميزه عنهما فيبقى ذلك العكر في الاعضاء الباطنة فيحترق فتحصل السوداء .

الثالث : ان القوة الدافعة التي في الطحال تضعف فاذا جُذبت فلا تقدر على الدفع فيجتمع العكر فيصير ذلك سبباً لحصول السوداء . فقالوا على هذا المنوال المشروح : ان علة المراقيا تنتقل الى علة المراقيا السوداوية . وعلامات السوداء تظهر واضحة بالتدريج .

الفصل الثاني

في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقيا

اعلم ان بدن الانسان اذا كان دائماً في التحلل فمن لازمه ان يغتذي ليخلف بدلاً عما يتحلل . فاذا كان الامر اذاً على هذه الكيفية لم يوجد غذاء ما لم يكن له فضلة ، لكنّ الاغذية اذا ما ناسبتها بعضها ببعض فتجد ان بعضها فضلة كثيرة وبعضها قليلة ، ومن ثمّ ما قد تهضمه الطبيعة فتقبل منه ما كان صالحاً للغذاء ، وما كان فضلة ترده وتدفعه الى الخارج . مثلاً : ان الهضم الاول يكون في المعدة فالذي يكون صالحاً من الاطعمة للغذاء يكون كيلوسه[1] جزئياً ، والذي لم يكن صالحاً فيصير فضلة ويسري الى الامعاء ، ولكن كيلوسه ينفصل عن الفضلات وبعد تنظيفه فان الطبيعة توصل ذاك الكيلوس في عروق الماساريقا الى الكبد اولاً حيث يكون في عروق الماساريقا فيقع فيه الهضم قليلاً ، اذ ان الكيلوس عندما ينفذ الى الكبد يستعد لان يصير دماً.

والكيلوس عندما يكون في عروق الماساريقا فالطحال يجذب اليه من ذلك الكيلوس ما كان غليظاً فيطبخه فيحصل منه دم غليظ . وذاك الدم الغليظ يصير غذاء للاعضاء الكائنة في جوار الطحال . ولكن هذا الدم الغليظ ما كان من الفضلات الغليظة جداً تميزه الطبيعة وتدفعه في الطرق المناسبة لدفعه .

اما الكيلوس الرقيق الذي يبقى في عروق الماساريقا فيجذبه الكبد اليه ويطبخه وفيه يحصل الدم وسائر الاخلاط التي تصلح للاعضاء . والطبيعة منه تقسم غذاء جميع الاعضاء ، وفي هذا الطبخ الفضلات الحاصلة في الكبد بعضها يذهب الى المرارة وبعضها الى الكلى .

وحاصل الكلام ما ذكرناه حسب قول المتأخرين ، لان المتقدمين قالوا : ان الهضم الاول في المعدة والهضم الثاني في الكبد . وذهبوا الى ان الطحال يجذب اليه الدم الغليظ من الكبد ، ولكن المتأخرين بعد اثباتهم الهضم القليل من عروق الماساريقا ، ذهبوا الى ان الطحال يجذب

[1] الكيلوس : هو الخلط ، أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد عمل المعدة فيه . معرّب خيموس باليونانية .

الكيلوس الغليظ . غير ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على ان الطحال كان لاجل تنظيف غلظ الدم وعكره ، ولاجل ارسال الغذاء الى الاعضاء التي من شأنها ان تغتذي بمثل هذا الدم السوداوي الذي يجذبه من الكبد . انما على ما ذكرناه ان كانت الاعضاء الباطنة هضمها على ما ينبغي وكل منها يدفع فضلاته كما ينبغي ، يكون حينئذ البدن على صحته . واما ان كانت لا تقدر على دفع هذه الفضلة لضعف القوة الهاضمة او الدافعة فيصير سبباً لامراض مختلفة.

قال قيريلوس الحكيم في المقالة السابعة من كتابه الذي « في العلل والامراض » هكذا : ان كان قصورٌ في القوة الهاضمة وضعف في الدافعة ، فان الطبيعة لا تقدر على دفع الفضلات كما ينبغي . ومن ذلك يتولّد ثمانية امراض : الاول الهيضة . الثاني الماليخوليا . الثالث علل المراقيا . الرابع المراقيا السوداوية . الخامس الاسهال . السادس اسهال الدم . السابع سوء القنية . الثامن الذبول . فان كانت الفضلات المجتمعة في الاعضاء الباطنة متعفنة فتكون سبباً لحصول الحميات النائبة . انتهى .

اما سبرطوس فقال هكذا : ان من اجتماع هذه الفضلات في الاعضاء تحصل الامراض المذكورة آنفاً ، ولكن احياناً اذا غلبت الطبيعة فيعرض القيء والاسهال للعليل فيحصل الخلاص كما شاهدناه دفعات متعددة .

وجالينوس الحكيم ، قال في المقالة السابعة من كتابه المعروف « بالاعضاء الآلمة» هكذا : ان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا هو من هذا الوجه حيث اوضح بان الاعضاء الباطنة اذا اعتراها سوء المزاج الحار بسبب حرارتها احياناً يكون الطعام قليل الهضم فيجذبه الكبد من المعدة اليه ، ولكون الكبد مفرط الحرارة فيحصل من ذلك الغذاء دم غليظ ومحترق ، وبسبب غلظ هذا الدم واحتراقه تحصل السدة في الكبد والمجاري . فاذا كان الامر هكذا ، اي لان السدة تضيّق المجاري فالكيلوس لا يعود ينفذ من المعدة ، ويبقى زماناً فيها فيفسد ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . واحياناً لطول مكث الكيلوس الفاسد في المعدة ، والمعدة حينئذ ضعيفة ، يُنشئ فيها رياحاً كثيرة فيعرض وجع المعدة . فان كانت الطبيعة تغلب فيندفع الوجع بالقيء وبالليّن .

وقال جالينوس ايضاً : ان فم المعدة الاسفل متصل في الامعاء وهو في

ذلك الحين يلتهب فلا يسري الغذاء من ذلك الطرف الى الماساريقا كما ينبغي فيبقى في المعدة . ولزيادة مكثه فيها ينفسد ولكون المعدة تضعف ايضاً فيحصل ريح ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . انتهى .

نتيجة الكلام : ان الاعضاء التي تجتمع فيها الاخلاط الفاسدة في هذه العلة هي ثمانية : الاول نفس المعدة . الثاني فم المعدة الاسفل . الثالث نفس الكبد . الرابع البواب وهي العروق الكبيرة التي في الكبد . الخامس الأعضاء القريبة من الكبد . السادس نفس الطحال وعروقهُ . السابع عروق الماساريقا . الثامن اللحوم الغددية التي هي في عروق الماساريقا . وعلى التحقيق ان خلقة اللحوم الغددية هي مثل الاسفنج فانها تشرب الأخلاط الفاسدة ويكبر حجمها . فعلى هذه الحالة تُسدُّ مجاري الماساريقا بالضغط وتورث السدَّة وتصير سبباً لظهور المرض المذكور . فان كانت الأخلاط الفاسدة تجتمع في اللحوم الغددية لا يُحسُّ بها في اللمس واذا لم يُحسَّ بها في اللمس لا يقتضي من ذلك انها لم تكن علّة المراقيا .

٥

إعلم ان الأخلاط الفاسدة المجتمعة في هذه الأعضاء قد تصعد منها أبخرة رديئة تارةً الى المعدة ، وتارةً الى القلب ، وتارةً اليهما معاً ، وتارةً الى الدماغ . فان كانت تصعد الى المعدة فتسدُّ ويحصل منها جشاً وتورث اللدغ والوجع . ولكون المعدة لها مشاركةٌ مع الدماغ ايضاً وبصعودها الى القلب ، يعرض للقلب وجعٌ وانقباض . وان كانت تصعد الى الشريان الكبير الذي في القلب فتورث الخفقان وعسر النَّفَس ووجع الصدر . وان كان يعرض للمريض عَرَقٌ باردٌ فتسكن الأعراض الشديدة قليلاً ويستريح نوعاً ما ، لأنَّ الأبخرة الصاعدة الى القلب تتحلَّل بالعرق

﴿ الفصل الثالث ﴾

في بيان علامات الاعضاء المأوفة أي المألومة في علّة المراقيا

ان كانت الآفة في نفس الطحال فتظهر في الطحال صلابة ونفخة ، وسحنة المريض تكون الى الكمودة . واذا كانت في الكبد فتظهر العلامات المذكورة

في موضع الذي فيه الكبد . وأما اذا كانت في المعدة والطحال معاً فيعرض تحت المعدة نفخ وتمدُّد ووجع بعد تناول الطعام في ست او سبع ساعات تمضي. وأمّا ان كانت في الكبد والطحال فلا يحسّ بشيء. أصلاً . وان كانت الآفة في نفس المعدة في وقت الهضم يُعلم ذلك من الاعراض الظاهرة . وأما ان كانت في الرحم من احتباس الطمث وقلّته وعسره ، وان قبل مجيء النوبة بيوم او يومين ، فيحصل وجع الظهر والاربية وقراقر في الجوف ونحو ذلك .

وأما ان كانت في اختلاط سوء مزاج المعدة والكبد ، لكون في الكبد سوء مزاج حارّ ، فتصعد أبخرة حارّة من الكبد فتحمرّ منها وجنتا العليل احياناً وتحمرّ منها كفّاه وأسفل قدميه أيضاً وبولهُ يكون أحمر ، ويكون المريض مائلاً الى شرب الماء .

وان كانت العلّة حاصلة من برودة المعدة فيعلم ذلك من ضعف هاضمة المعدة ومن الجشإ الحامض الحاصل من البلغم الذي في المعدة .

الفصل الرابع

في بيان أسباب علّة المراقيا وهي سبعة

السبب الاوّل : من حيث ان في الكبد سوء مزاج حارّ فهو يجذب اليه الطعام من المعدة قبل الهضم وتنجذب اليه الحرارة الغريزيّة من المعدة ايضاً فتضعف القوّة الهاضمة التي فيها فتصير سبباً لتولّد بلغم غليظ لزج وريح. وذاك البلغم الغليظ الحاصل في المعدة، عندما ينفذ البعض منه الى الكيلوس في عروق الماساريقا يسدّ المجاري بسبب لزوجته وغلظه. وفي نفوذه من عروق الماساريقا الى الكبد ، لكون الكيلوس لزجاً وغليظاً ، تضيق مجاري الكبد ايضاً . وعندما تضيق المجاري يقلّ ترويح الكبد فيصير سبباً لزيادة سوء المزاج البارد ويستدلّ على ذلك من الغذاء .

السبب الثاني: يعرض من تناول الأطعمة المضرّة خصوصاً الأغذية البطيئة الهضم والمولّدة البلغم الغليظ والصفراء والسوداء، مثل البقول المضرّة كالباذنجان واللخنة . ومن الحبوب العدس . ومن اللحوم البقر والماعز والارنب والأيل. ومن الطيور لحم طيور الماء على الاطلاق . والقديد مثل السجق والبصطرمة

والبيض المقلي الشديد الاستواء . والاطعمة المصنوعة من العجين خصوصاً اذا كانت بالحلو ، لكونها من العجين تولّد بلغماً غليظاً ، وبسبب حلاوتها تولّد الصفراء .

والحاصل ان جميع الاطعمة السكّرية والعسليّة مضرّة لعلّة المراقيا .

السبب الثالث : الانفعالات النفسانيّة خصوصاً المقاربة مثل الهمّ والغم والخوف والرعب والغضب ، لأنّ هذه الحالات مع كونها تحلّل الارواح فتُضعف الحرارة الغريزية والقوّة الهاضمة .

السبب الرابع : ترك الحركة ، فان الذي يُكثر من الدعة (الراحة) ولا يمارس الحركة تجتمع في بَدَنه رطوبات فضليّة واخلاط .

السبب الخامس : الحركات العنيفة ، فان كانت الحركة معتدلة فانهـا تحلّل الفضول . وان كانت مفرطة بعدما تحلّل الفضول فانها تفني الاخلاط والرطوبات الاصليّة التي تصلح للغذاء ، فيحصل من ذلك سوء مزاج حارّ في الكبد وسائر الاعضاء . وان كانت بافراط فانها تُفني الرطوبة الاصلية وتصير سبباً لاطفاء الحرارة الغريزية .

السبب السادس : احتباس الأخلاط اللازم استفراغها مثلاً : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فاذا حبس دمه فيصير سبباً لتجمّع الاخلاط الفاسدة والسوداوية ، لأن الدم الذي يخرج من عروق البواسير فانه دم محترق فاسد ، ولكونه لم يصلح للغذاء ، فان الطبيعة تدفعه خارجاً لاجل تنقية الاعضاء الباطنة حتى ان الحكما قالوا : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فانه يأمن ظهور عشرة انواع من الامراض : ١ـ الجنون ، ٢ـ السوداء ، ٣ـ الجرب ٤ـ البلغم ، ٥ـ الصرع ، ٦ـ ذات الجنب ، ٧ـ ذات الرئة ، ٨ـ السل ، ٩ـ الجذام ، ١٠ـ السرطان .

السبب السابع : احتباس الحيض في النساء ، لأن احتباس هـذا الدم يوجب تجمّع الاخلاط الفاسدة ايضاً . وما ذكرناه من الاسباب المشروحة كلّ منها يصير سبباً لظهور علّة المراقيا . وفي مريض واحد لا يلزم ان تُوجد فيه كلها بجملتها كما سنوضحه ان شاء الله تعالى .

﴿ الفصل الخامس ﴾

في بيان علامات علّة المراقيا وهي واحد وعشرون علامة

العلامة الاولى : إعلم انَّ المعدة تأوف من سوء المزاج البارد فتضعف القوَّة الهاضمة فينشأ من ذلك اخلاط بلغميّة وريح وجشأ . فان كان سوء المزاج البارد مفرطاً تكون حامضة . وان كانت البرودة قليلة في المعدة فيعرض جشأ دخانيٌ ووجع المعدة احيانا ، والمريض لا يستريح ما لم يتقيَّأ ، ويعرض له بصاق كثير احياناً . فالذين يبتلون بهذا المرض اكثرهم اذا تكون معدهم مأوفة مألومة ، وتعرض لهم اعراض رديئة متنوعة . فمن كان غير مُمرَّن في فن الطبّ وقليل الدراية في تمييز الاسباب والعلامات من الاطباء الجهلة يظنُّ انه مرض معديّ فيُخطئ في التشخيص والتدبير ويصير تدبيره سبباً لاشتداد المرض .

إعلم ان سبب آفة المعدة في هذا المرض هو ان المعدة تجتذب غذاءها من الدم الذي في شُعَب العروق الذي يقال له « البواب » لتغتذي به . وهذا الدم الذي يأتيها كونه من أصل فاسد ويجرّد غذائها به يسوء مزاجها لفساد غذائها فتضعف القوَّة الهاضمة اضعفها ايضا ، فما يأتي المعدة من الطعام يفسد ، والكيلوس الرديء الحاصل من مثل هذا الطعام قد تكرهه الطبيعة فتدفعه بالقيء .

والحاصل : ان اصحاب هذه العلّة اكثرهم لم يجدوا في معدهم كيلوساً صالحاً ، انما يكون مائياً أو أسود أو حامضاً ، ومن وجود هذه الاخلاط يكون الجشأ . والاخلاط الفاسدة الحاصلة فيها غير صالحة للغذاء ، فعروق الماساريقا وسائر الامعاء لم تجذبها اليها فتبقى في المعدة ، ولهذا السبب تكون الرطوبة كثيرة في فم المريض دائماً ويكون ذلك سبباً لسيلان اللعاب وكثرة البصاق . واذا كانت الاخلاط الفاسدة كثيرة في المعدة والقوَّة الهاضمة قويّة ، فتدفعها بالقيء . وفي بعض المرضى حيث تكون حرارة معدته الغريزيّة ضعيفة فيتولّد فيها ريح يمدّدها وليّا في أطرافها من الاعضاء ، أي بتداخل جرمها يحصل الوجع ، وفي بعضهم يقع انقباض الارواح ، وفي بعضهم الغشي .

وهذه الاعراض لها سببان : الاول لاجل مشاركة المعدة مع القلب فيعرض ذلك قبل ان يتألم القلب . الثاني هو ان قبل صعود الابخرة الرديئة والريح الى نفس القلب يعرض له احياناً خفقان .

واعلم ايضاً ان الاخلاط الفاسدة الرديئة المذكورة لا تتولّد في المعدة دائماً انما هي تتولّد احياناً في الطحال ايضاً ، فتكون سودا. حامضة تُضرِسُ الاسنان وتنصبُّ في المعدة فتتأذى منها وتدفعها بالقيء.. وأحياناً هذه السوداء الحامضة تهيّج الجوع ، وأحياناً من افراط حرارة الكبد تتولّد صفرا. كثيرة وتنصبُّ الى المعدة فتدفعها صفراء محض او مع بلغم . ويقع غشيان وسقوط الشهوة اي انه لا يقبل الطعام لمرارة الفم .

واعلم ايضاً انه اذا لم يكن في المعدة كيلوس صالح فتتولّد من ذلك أخلاط فاسدة رديئة متنوّعة كما تقدم بيانه آنفاً . فتلك الاخلاط الفاسدة تصير سبباً لظهور الاعراض الرديئة في المعدة .

اما الطبيعة فتدفع الاخلاط الغليظة بالقيء ، والرقيقة بالعرَق ، والرياح الغليظة بالجشأ فتسكن تلك الاعراض نوعاً ما . وقد تتمادى كما هو منقول عن قايرسيون الحكيم بقوله : انه شاهد بنتاً في سنّ الثلاث عشرة سنة كانت مبتلية بعلّة المراقيا وكانت تتقيّأ الاخلاط الغليظة اللزجة الحامضة فتمادت بها تلك العلة الى سنّ الاربعين سنة .

وسترطس الحكيم قال ايضاً : انني رأيت امرأة كانت منذ ثلاثين سنة تتقيّأ بلغماً مالحاً وحامضاً يُضرس الاسنان، وأما سائر الافعال الطبيعية فكانت فيها كما ينبغي .

فمن ثمَّ علمنا ان الطعام الذي يتناوله العليل بعد الهضم الاول تميّز الطبيعة ما كان منه لطيفاً وتحيله كيلوساً جيّداً فيغتذي به البدَن . وما كان غليظاً رديئاً كانت الطبيعة تدفعه بالقيء . ولو لم يكن هكذا لكان يقتضي ان لا يعيش المريض زمناً طويلاً لفقدان الغذاء .

والحكيمان المذكوران قالا : باننا شاهدنا بان المريض لمّا كان يتقيّأ الطعام الذي كان يتناوله كانت تخرج منه الاخلاط الفاسدة وحدها ايضاً بلا طعام . فمن هنا علمنا ان بعض الطعام الذي تناوله ، فالجزء الذي يكون صالحاً منه للغذاء ، كانت الطبيعة تهضمه وتستحيله للغذاء . واما الوان الطعام كلّه فيستحيل الى الاخلاط الفاسدة لما كان يحتمل ان يكون صاحب هذه العلّة طويل العمر .

العلامة الثانية : إن الطبيعة في بعضهم تكون قبضاً (قابضة) وفي بعضهم لينة . والقبضُ له ثلاثة أسباب : الاول ان يكون في الكبد والطحال سوء مزاج حارّ فتغلب اليبوسة على البدَن وتيبس الفضلات التي في الامعاء فيحصل القبض .

الثاني ان البلغم الغليظ اللزج الحاصل في المعدة يلزمه ان ينحدر الى الامعاء، ولكن بسبب غلاظته ولزوجته يبطيء نزوله في الامعاء . وفي انحداره بسبب تشبُّث غلاظته ولزوجته فيحصل القبض .

الثالث ان الصفراء التي تنقّط في الامعاء قطرة فقطرة لاجل غسل الامعاء فان البلغم الغليظ واللزج المتشبّث عن جِرْم الامعاء يحول بين الصفراء المنصبّة اليها وبين جرم الامعاء فلا يؤثر تلذيع الصفراء . فعلى هذه الحال يتأخر جرم الامعاء عن دفع الفضلات التي فيها فيعرض القبض .

واما سبب لين الطبيعة في اصحاب هذه العلّة ، فان منهم من يكون في كبده سوء مزاج حارّ زائد فتحصل من ذلك كثرة الصفراء وتكون القوّة الدافعة قويّة جداً فتدفع تلك الصفراء الى الامعاء فتصير سبباً لحدوث اللين .

العلامة الثالثة : ان تكون قراقر في الامعاء تبتدئ غالباً من الجانب الايسر ، وفي بعض الاوقات تسكن وحين يتحرك الريح تظهر القراقر ايضاً . قال سنطوس الحكيم : اننا كنّا اعراض هذا المرض بتكرير الاستفراغات ولكن ما قدرنا على تسكين الريح بالكليّة فلذلك قد علمنا ان عدم تسكين الريح هو ان الدواء الذي أعطيناه للمريض لم يصل تأثيره الى المحلّ الذي فيه الريح .

واما سنطوس الحكيم ، فذهب الى ان الريح لم يجد له منفذاً ليخرج منه لكون المحلّ للريح هو ما بين طبقتي عروق الماساريقا . والسائل ان يسأل : ان كان هذا الامر هكذا كان يقتضي ان يكون فيه وجع . ومع هذا فان بعضهم في هذا المرض لا يكون ظاهرا فيه وجع البتّة .

الجواب : هو ان كيفيّة عدم وجود الوجع هو لكون وجود ذاك الريح لم يكن غليظاً بزيادة والحرارة الغريزية تكون قويّة فتخرج تركيب ذلك الريح من الطبقات فتكون القراقر .

واما ان كانت قوّة المريض ضعيفة وكان الريح غليظاً فيحصل في جوف المريض وجع مثل وجع القولنج . ويعرض له احياناً وجع المعدة مع وجع الظهر، واحياناً يعرض له وجع الصلب مع وجع الكُلى . وأكثر هذه الاعراض تُسكَّن بالقيء. وبهضم الطعام .

اما جهلة الاطباء فيظنّون انه مرض حصاة الكُلى. وقد رُوي عن ستيرطوس الحكيم قال : انه في عصرنا وجدتُ رجلاً بعد تناوله الطعام في السابعة والرابعة والخامسة كان يعرض له وجع المعدة والصلب معاً ، وكانت تُرى قارورته حمراء غليظة وفي اسفلها رسوباً كالرمل ، وكانت اطباء ذلك العصر تعالجه معالجة حصاة الكُلى فلم يجد صحّة. اما انا فعالجته علاج المراقيا فصادف الشفاء ، الّا انه لم يكن عبثاً ما ذهبتْ اليه أطباء عصرنا . قال: لأن الخلط الناشيء من ضعف المعدة ليس ببعيد ، انه عندما يذهب الى الكُلى فيتحجّر هناك خصوصاً اذا كانت الكبد حارّة ، ولمشاركتها الكبد تشتدّ حرارتها فيتحجّر الخلط الغليظ فيها ايضاً . لكنني انا الفقير ، وجدت الفرق بين الرمل الذي يأتي من الكُلى والذي يأتي من المراقيا كما سنوضح بيانه قريباً ان شاء الله.

العلامة الرابعة : يعرض للمريض كرب وحزن وانقباض القلب . وسبب ذلك من وجهين: الاول لان الابخرة الفاسدة المظلمة تصعد الى القلب فينقبض منها . الثاني الطعام الذي تناوله لكونه لا يُهضم في المعدة هضماً جيداً فيولّد ريحاً وبسبب تمديد ذلك الريح فيظهر ألم في المعدة حتى يوشك ان يغشي المريض.

العلامة الخامسة : الخفقان وسببه من وجهين : الاول هو فساد الابخرة الصاعدة الى القلب . الثاني من مشاركة المعدة للقلب. فالابخرة الرديئة الصاعدة من المعدة تؤثر في القلب تأثيراً شديداً فيتحرك لدفع البخار المؤذي عن حركة سريعة . ولشدّة الخفقان يضرب الشريان الذي في القلب ضرباً متواتراً حتى ييأس المريض من حياته .

العلامة السادسة : انه يكون في بعض المرضى ورم في الجانب الايسر في محلّ الطحال . وسببه اما ريح نافخة ، واما أخلاط فاسدة متجمعة هناك .

العلامة السابعة : هو ان يحدث في بعضهم سرعة لنبض الشريانين المكتنفين الحلقوم حتى تظهر لحسّ البصر لا سيما الجانب الايسر وخاصة اذا حدث للمريض

حركة عنيفة كالغضب وغيره . وسبب ذلك هو من زيادة حرارة الدم الذي في الشريان ، كما انه يحدث سرعة نبض شريان الاصداغ لمن يطيل الوقوف في الشمس او لمن يكثر من شرب الخمر .

العلامة الثامنة : هو ان يحسّ بعض المرضى بحرقة في مراق البطن . فتارة تكون في الجانب الواحد وتارة في الجانبين . وسببها اجتماع الاخلاط المحترقة من ذلك الجانب .

العلامة التاسعة : يكون أحياناً وجه المريض ووجنتاه في احمرار . وسبب ذلك من صعود بخار الاخلاط الحارّة .

العلامة العاشرة : ان اليبوسة تعرض في لسان المريض وحلقه . وسبب ذلك هو صعود بخار الاخلاط المجتمعة من الاعضاء الباطنة الى الرئة او الى قصَبة الرئة .

العلامة الحادية عشرة : انه يعرض عسر النَّفَس . وسبب ذلك هو من صعود البخار الى الرئة والحجاب الحاجز فيُضغط صدر العليل والاعضاء الداخلة في صدره .

العلامة الثانية عشرة : انه يعرض احياناً وجع الصدر والظَّهر . وسبب ذلك ان بخار الاخلاط المجتمعة يصعد الى صدره ومن لذغ البخار وتمدّده يصير الوجع .

العلامة الثالثة عشرة : يعرض للمريض هَذَيان وهيام في عقله . وسبب ذلك انه يصعد ريح حارّ من جانب الطحال الى الدماغ ، ولسبب امتلاء الدماغ يتشتَّت الروح النفسانيّ فيمرض الدماغ هيام وحيرة الى حين ما يتحلّل عنه ذلك البخار فيزول التشتّت عن العليل .

العلامة الرابعة عشرة : يظهر للمريض وجع في الشبكة بهذا المقدار حتى ان بعض المرضى يظنّ ان قحف رأسه يُقلع منه ، وبعضهم يعرض له ظلمة البصر ، وبعضهم السدد والدوار والخوف والغم والغضب والغصّة وخيالات متنوعة ليس لها وجود في الخارج . وسبب ظهور هذه الاعراض كلها هو من البخار اليابس الصاعد من المراق .

العلامة الخامسة عشرة : ان لسان المريض يثقل ولا يقدر على التكلّم وسبب ذلك هو من صعود البخار اليابس الى اعصاب اللسان .

العلامة السادسة عشرة : يعرض طنين في الآذان لصعود البخار اليابس اليها .

العلامة السابعة عشرة : ان المريض لا يقدر ان يحرك يديه ورجليه الا بعسر لسبب صعود البخار الى اعصاب اليدين والرجلين . وعندما يتحلل البخار يقدر على الحركة .

العلامة الثامنة عشرة : يظهر وجع في اليدين والرجلين . وسبب ذلك هو من غلظ الابخرة الصاعدة اليها ، او من مائيّة الدم الواصل الى ذلك المحلّ ، فعندما يتحلّل يزول الوجع . وقد يقع الخَوَر في اليدين والرجلين والسبب واحد.

العلامة التاسعة عشرة : يعرض للمريض سهرٌ ، واذا رقد فيرى في النوم أحلاماً رديئة مخيفة . وسبب ذلك هو ان البخار الصاعد الى الدماغ لكونه حارًا يابساً فيشوّش الروح النفسانية ويجفّف الدماغ فيورث السهر . وبعض المرضى اذا تناول طعاماً في الليل فالبخار يرطّب دماغه وينام وبعد الهضم يعرض له السهر ايضاً .

العلامة العشرون : ان بعض المرضى ايضاً لا ينام من نصف الليل الى ثلاث او اربع ساعات ، وبعد ذلك ينام قليلاً . وبعضهم لا ينام بعد نصف الليل أصلاً . وسبب ذلك هو ان الكيموس في كلّ وقتٍ بعد الهضم حين ينقسم ويأتي الى نفس الطحال فتتحرّك الاخلاط الفاسدة والسوداوية المتجمعة اولاً في اطراف الطحال . وبسبب هذه الحركة تصعد الى الدماغ أبخرة حارّة ويابسة فتورث السهر . فان كان يمتدّ البخار فلا ينام المريض أصلاً ، واما ان تحلّل فينام مرتاحاً .

والحاصل ان نوم المريض وسهره تابع لتحلّل البخار وعدم تحلّله .

العلامة الحادية والعشرون : ان القارورة تكون متنوعة الاشكال ، وهو انها تكون تارةً رقيقة وتارة غليظة ، وتارة كدرةً وتارة صافية ، وتارة كمدة وتارة حمراء . وتارة يكون فيها رسوب وتارة لا يكون . والرسوب تارة يكون كالدرديّ وتارة كالرمل . وسبب رقّتها هو انه حيث يصير سدّة في مجرى البول فيمتنع مجرى نفوذ الغليظ . واما الرقيق فيمرّ وينفذ ، وان لم يكن مجرى البول مفسرًا بزيادة فيأتي البول غليظاً وكدرًا ومحمرًا نوعاً . وبعض المرضى يكون بوله حارًا لكونه مختلطاً بالصفراء المحترقة فيأتي بحدّة ، يعني انه يخرج من القضيب بحرقة . واحياناً يكون البول كريه الرائحة . وأما البول

الذي يأتي غليظاً فيكون كدراً فاذا بقيَ في القارورة نيرقد رسوبه في أسفله كالرمل . وحكماء الافرنج تعبّر عن هذا الرسوب بالطرطير . وهذه الرواسب تكون مائلةً الى الحمرة وأحياناً تكون كمدة واحياناً تلصق في أطراف القارورة. والحاصل ان لون الرسوب هو تابع لما يندفع من الاخلاط المحترقة .

واعلم ايضاً انــه كما تقدّم ووعدنا اننا نوضح بيان الفرق الفاصل بين الرسوب الآتية في علل الكُلى والرسوب الآتية بسبب علّة المراقيا ليستفيد بعلم ذلك طَلَبة هذه الصناعة ويكونوا على بصيرة من ذلك . فان الرسوب الحاصلة من حرارة الكُلى بالحقيقة انها لم تكن رسوباً ، انما تكون رملاً صلباً ، وان مُرسَتْ بالاصبع فلا تتفتّت .

واما الرسوب الآتية في المراقيا فانها تُشبه الرَّمل لكنها ليست برمل ، واذا مُرسَتْ بالاصبع تتفتّت وتنحلُّ .

واما كيفية تولُّد الرسوب الواقعة في هذه العلة ، قال سترطوس الحكيم : هو عَكَرُ الاخلاط التي في الكبد والعروق الكبيرة المحترقة من افراط الحرارة، فان القوّة الدافعة تدفع ذلك العَكَر الى الكُلى فتخالط البول وتخرج معه .

تنبيه : اعلم ان الاسباب والعلامات المذكورة التي بهذه العلّة لا يلزم ان تجتمع كلها في مريض واحد ، وانما اذا وُجد بعضها فيه فذلك كافٍ للاستدلال، لان قلّة الاعراض وكثرتها تكون بحسب آفة الاعضاء الباطنة واستعداد المريض والاعضاء المعتلّة واختلافها . فان كانت الآفة قويّة فتظهر علائم كثيرة، وان كانت ضعيفة فتظهر قليلة .

. فقد علمنا اذاً يقيناً ان الذي يُبتلى بهذه العلّة لا يقتضي ان يكون تحت مراقه نفخ او صلابة او وجع او ورَم في كلّ وقت .

(لها صلة)

المصطلحات العلمية في اللغة العربية

بقلم الاستاذ عادل انوبا

لقد كثرت النشرات العلمية في البلاد العربية وازدادت ازدياداً يبعث على الارتياح والاعتزاز. فلهذه النشرات فضل على اللغة التي تزيدها غنى ودقة وعلى الفكر العربي الذي تكسبه طرقاً علمية في البحث والتفكير، بعيدة عن المبالغة والغموض، مبنية على المنطق والتحقيق ولها فضل على القومية العربية التي تعززها في مضمار نشعر فيه بتقصيرنا وضعفنا. واصحاب هذه النشرات جديرون بكل تقدير وتشجيع فقد يقضي بعضهم في تحضير نشراته الايام الطوال ولا امل لهم بكبير نفع مادي او معنوي، فأهل الاطلاع العلمي قليلون ومعظمهم يميل الى مراجعة الكتب الغربية ثقة منهم بدقتها وسعة معلوماتها وتنوع ابوابها وطرقها. وكأني بزملائنا لا تثبطهم هذه العوائق فهم لا ينقطعون عن التأليف والنشر ممهدين بعملهم هذا لنهضة علمية قريبة ان شاء الله.

غير ان هذه الحركة التأليفية المباركة تحمل في طياتها ضعفاً قد يتحول الى داء مستعص وبيل اذا لم تبادر الدول العربية صاحبة السلطان والشأن الى معالجته سريعاً وهذا الضعف انما هو مسألة المصطلحات العلمية التي استعصت او كادت على المؤلفين الذين ذهبوا في ميدانها كل مذهب. ولنا فيها آراء وخواطر رأينا ان ندلي بها.

من المعلوم ان برامجنا مستوحاة من البرامج الاوروبية او هي منقولة عنها. وكتبنا العلمية الموضوعة تشبه في وضعها الكتب المترجمة ولا عجب فنحن اليوم في عهد يشبه عهد العباسيين في الترجمات والنقل وأي عربي لا يعظم ذكرى حنين بن اسحق والحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وغيرهم ويرى فيهم مؤسسي نهضتنا الاولى التي لا تزال انوارها تبهر اعين المستشرقين حتى اليوم.

قلنا اننا في دور الترجمة ولكن هل توصل مؤلفونا اليوم الى وضع المصطلحات العلمية الاجنبية باللغة العربية ونحن نعلم ان العرب لم يعرفوا من علومنا الحديثة الا اليسير ، فالفيزيا، بوجه التقريب وليدة القرن السابع عشر وبعض اجزائها كعلم الذرّة لا يرقى الى اكثر من خمسين سنة .

على هذا السؤال نجيب مميّزين بين العلوم العليا والدروس الثانوية والابتدائية. ففيما يخص الاولى لا بد من التسليم ان آلاف المفردات مفقودة في العربية وكذلك قل في العلوم الصناعية. الا ان الامر في نظرنا ليس بالامر العظيم وهذه المفردات يجب ألّا تدخل في لغتنا الا عند الحاجة الحقيقية اليها ، اذ ما الفائدة من وضع معجم ببضعة آلاف كلمة لن يستعملها مئة شخص في عشر سنين !

ومن المعلوم ان عددًا كبيرًا من مدارسنا العليا هو اجنبي وان جامعاتنا الوطنية تعول احياناً على اساتذة اجانب لتدريس العلوم وعلى اللغات الاجنبية؛ وبما اننا امة علمها مكتسب امة لا تزال فقيرة الى ما هو موفور في بلاد صغيرة كسويسرا وبلجيكا والدانمارك[١] فمن الحرام ان نسدّ في وجهنا كل طريق مؤدية الى التحصيل . وأرى ان حرمان الناشئة من تلقي الدروس باللغات الاجنبية وقصرها على اللغة العربية يضرّ بها وبالامة ضررًا بيناً ويقطع بيننا وبين الغرب ينبوع معارفنا وعلومنا . وبهذا نرى ان العلوم العليا وخصوصاً ما كان منها في دور التطور يحسن بل يجب ان يعلم بلغة اجنبية علمية[٢] ويؤيد ما نذهب اليه الطرق المتبعة في جامعات اميركا كهارفارد وكولومبيا وبوسطن وغيرها فانها لا

---

١) الدانمارك بلد صغير فيه ثلاثة ملايين ونصف من السكان يجاري في الرقي والعمران اعظم البلدان . كفاه فخرًا انه انجب نيلس بوهر الذي درس عليه الكثيرون من علماء اوروبا والذي يعد من اهم مؤسسي النظريات الذرية وقد قام بأبحاثه كلها في مختبرات بلاده وكوفئ بجائزة نوبل العالمية .

٢) فلتنظر في امر طبيب تلقى دروسه باللغة العربية فانه في جهله اللغات الغربية مقطوع عن العالم العلمي كروبنسون في جزيرته . وبينما يتقدم الطب بخطى سريعة يظل طبيبنا على معلوماته اليسيرة ، هذا ان لم ينسها بالتدريج . وامثال هذا الطبيب خطر على المجتمع . ثم ماذا نصنع بالمستحضرات الطبية واسماؤها اجنبية ؟ !.

تقبل ظالبها فيما ما لم يكن يعرف احدى اللغتين العلميتين الافرنسية والالمانية وفي بعض الجامعات يطالب بلغتين اجنبيتين في حين ان اميركا في حال من الرقي العلمي يغنيها عن فرنسا والمانيا . ولكن اولياء الامر فيها يرون من الحكمة الا يقطعوا بين طلابهم ومهذبيهم واطبائهم واصحاب الثقافة العالية بوجه الاجمال وبين علماء اوروبة وادبائها حتى يتمكن الاميركي من مطالعة المقالات العلمية بلغتها الاصلية غير معتمد على الترجمات مهما تعددت .

ثم اننا اذا استقرأنا التاريخ رأينا ان العلماء في اوروبة في الجيل السابع عشر وما قبله كثيرًا ما كانوا ينشرون ابحاثهم العلمية باللغة اللاتينية . نذكر منهم الفيلسوف والعالم الشهير ديكارت الفرنسي ، ونيوتن النابغة الانكليزي « في مبادىء الفلسفة الطبيعية » ، واولر السويسري في القرن الثامن عشر ، وغوص الالماني الذي نشر حساباته الخالدة باللغة اللاتينية في مطلع القرن التاسع عشر . ناهيك عن ان الحشرات والنباتات لا تزال تذكر في الكتب العلمية باسمائها اللاتينية حتى اليوم .

في كل ما تقدم بيانه الادلة الناصعة على ان العلوم في اجزائها العالية متعة انسانية مشتركة بين مختلف الشعوب ، واولى ان تدرس بلغة علمية شائعة ، ومن الخطأ ان تحصر العلوم باللغة العربية منذ اليوم ؛ فنكون كالغارس الغبي الذي يفصل الفسيلة عن امها قبل ان تتمكن جذورها من التربة فتموت .

وبما اننا في ذكر اللغات فلا حرج اذا لمونا عن موضوعنا الاساسي بقضية يرتبط بها مصير النشء والعلم. ان اتقان اللغات لمن يعنى بالعلوم امر جوهري. اذكر شاهدًا على قولي انني طالعت كتابًا افرنسيًا في الرادار ذيل بلائحة من واحد وعشرين مؤلفًا يجدر مطالعتها لاستكمال البحث منها ثمانية عشر باللغة الانكليزية. فتأمل ! وما يقال في العالم يصح في الاديب والمؤرخ فهل من باحث مدقق في تاريخ الشعوب العربية او في فلسفتها يترفع عن معرفة الالمانية والانكليزية ؟

يجدر اذًا بطلابنا ان يحسنوا الى جانب لغتهم لغة اجنبية علمية او لغتين وليس هذا بالكثير على نشء عرف بالنباهة وسرعة الحفظ . ويؤلمنا ان بعض الاقطار العربية قد خطت طريقًا معوجة تسير عليها ابناءها فهم يحبسون عنهم

للغات حتى بلوغهم الثانية عشرة من عمرهم . فيضيعون عليهم سني الحداثة وهي سنو الذاكرة القوية والقـابلية لاقتباس اللفظ الصحيح فاذا ما تعرف الطالب الى لغة اجنبية وهو كبير السن استحال عليه النطق السليم وغلبت عليه الركاكة في التعبير وعظم عليه اجهاد ذاكرته . ولنا في ما يقاسيه الكثيرون من طلابنا في اوروبا الشواهد المؤسفة البليغة على صحة ما نقول. وقد يكتفي الطالب الغربي من اللغة الاجنبية بقواعدها الصرفية والنحوية والكلام المتداول بين عامة المتكلمين بها ؛ وليست هذه حال الطالب العربي فـان موقفه من اللغات الاجنبية غير موقف رفيقه الذي يجـد في لغته بضعة آلاف من الكلمات توجد بحرفها في اللغات الغربية الاخرى فلا يحتاج الى حفظها مجدداً والكلمات العلمية وخاصة الحديثة منها تكاد تكون واحـدة في اللغات الغربية فكأنها تؤلف لغة دولية واليك ما نقلنـاه على التوالي من صفحة واحدة من قاموس انكليزي افرنسي Harrap's Standard

Hyperalgésie :	Hyperalgesia
Hyperbate :	Hyperbaton
Hyperbole :	Hyperbola
Hyperbolique :	Hyperbolic
Hyperboloïde :	Hyperboloid
Hyperborée :	Hyperborean
Hyperespace :	Hyperspace
Hyperesthésie :	Hyperaesthesia
Hypermétrope :	Hypermetropic
Hyperpiésie :	Hyperpiesis
Hypertension :	Hypertension
Hypnose :	Hypnosis
Hypnotique :	Hypnotic
Hypochlorate :	Hypochlorate

وقد اهملنا في الصفحة المذكورة من الكلمات المنطبقة لفظاً في اللغتين ثلاثة اضعاف ما نقلنا

المصطلحات في العلوم الابتدائية والثانوية

١ - تكاثر المفردات

ننتقل الآن الى الكتب العلمية للتدريس الابتدائي والثانوي . لقد تفرقت صفوف المؤلفين بشأن المصطلحات . فمنهم جماعة انصرفوا الى كتب الاقدمين وخصوصاً في بدء نهضتنا الحديثة واختاروا منهـا حاجتهم فجاءت المفردات في اغلب الاحيان وافية بالمراد واحياناً بعيدة عنـه . وقد اضطروا الى وضع مصطلحات جديدة كثيرة اما لعدم حصولهم على مجموعة وافرة من كتب العرب واما لفقر هذه الكتب الى بعض التعابير المطلوبة . ولم يكن بـين مختلف المؤلفين بحث مشترك في الموضوع او اتفاق سابق فوضع كل مصطلحاته منفرداً مستقلاً وكأنه شاء ان ينفرد في مختاراته وان يجهل الموجود في كتب غيره حتى الصالح منه فاصبحنا امام سيل من المصطلحات تجاوز عددها عدد مدلولاتها اضعافاً . ولا يرى العارفون في ذلك ثراء بل فقراً وعياً واذا استمرت الحال على ما هي عليه من الفوضى فالنتيجة زيادة اسباب التفرقة العلمية بين البلدان العربية وجعلُ ما ينشر في قطر منها غير مأنوس عند سكان القطر المجاور او يضطر القارئ الى الالمام بجميع المصطلحات المستعملة في سائر الاقطار العربية .

مثال ذلك كلمة vertical ترجمت : شاقولي رأسي عمودي قائم

وكلمة espace ترجمت : فضاء فراغ خلاء

وكلمة axiome ترجمت : بديهية ، اولية ، مُتعارَف

وكلمة pancréas « : بَنقراس ، بنكرياس ، حلوة ، لوزة المعدة ، معقد ، مُعَثْكَلَة

وكلمة coefficient ترجمت : مسمى ، مثل ، معامل ، ضارب ، عامل .

والامثلة على ذلك عديدة جداً .

افلا يخشى والحال على ما وصفنا ان يحل بنا ما حل في الماضي يوم اندمجت القبائل العربية ولغاتها فأصبحنا وللمسمى الواحد مئات من الاسماء . وللفظ الواحد

عدة معان متباينة وقد يطلق على معنيين متضادين وهي نهاية البعد والاختلاف ؛ انه لاثراء خير منه الفقر، اثراء يشبه اثراء الصحاري بالرمال فلا نبات ولا حياة.
وحسن ان نذكر ما نقله السيوطي في المزهر عن الكتاب المسمى بالالفاظ والحروف « ولم يؤخذ اي اللسان العربي عن حضري قط .. ولا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد قيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز »[1]. رحم الله جامعي اللغة فانهم رحمونا .

وهنا لا بدّ من التسليم ان تعدّد المفردات لا مفرّ منه اذا كانت المعاني المدلول عليها غير محصورة بالعلوم . خذ مثلاً معنى المرور في قولنا مرور التيار الكهربائي في السلك الموصل ، معنى غير محصور بالعلم فلا نستطيع ان نبطل استعمالهم مرّ التيار او سرى او جرى ولكن ننصحهم بالاكتفاء ان هم قوم ينتصحون ! ويجدر بالاستاذ ان يلفت نظر التلاميذ الى الفروق بين المترادفات الثلاثة المذكورة لانماء الدقة العلمية في عقولهم وازالة الغموض والفهم التقريبي. ولا يقبل في حال من الاحوال ان يخلط بين اسماء اشياء مختلفة نستعمل كلمة جوقلة او مصاصة او دورق للدلالة على اي اناء او وعاء كان !

ان التباين في المفردات للتعبير عن شيء واحد ، لا نجده في كتابين طبع احدهما في العراق والثاني في مصر بل نجده ايضاً في مؤلفين احدهما شامي والآخر حلبي وقد يتدّ الى مطبوعات مدينة واحدة ومطبعة واحدة ، وهذه البلبلة في المصطلحات تولد مثلها في الافكار والتثقيف وتبعث الحيرة في نفس الطالب وتثقل ذاكرته .

١) ذكر في مقدمة اقرب الموارد .

٢ – التشويش في المعاني

والخطب الثاني الذي يستهدف لخطره الطالب هو ان يستعمل مؤلف كلمتين للدلالة على شيئين مختلفين ثم يأتي مؤلف ثانٍ ويعكس استعمالها .

يعبر بعضهم عن énergie بالطاقة و puissance بالقدرة

ويعبر غيرهم عن énergie بالقدرة و puissance بالطاقة

وفي ذلك خطر عظيم ! ومعروف في تاريخ الديانات ان كثير من الشيع والانشقاقات انما نشأت عن تباين في فهم بعض المفردات .

على ان هذا الالتباس يقع احياناً في اللغات العلميـة الغربية نفسها ففي الافرنسية يدلون بكلمة cercle عن السطح المحصور داخل الدائرة وعن الدائرة نفسها ، وكذلك تاتي cône بمعنى المخروط والسطح المخروطي ويسمي بعضهم مستوياً ما هو في الحقيقة نصف مستو . وهذه بقايا تاريخية قديمة ، ايام لم يكن اتفـاق بين العلماء . ولا مؤتمرات علمية ولا حكومات تنظر في امر التعليم ، ناهيك عن ان الامثلة قليلة جداً تقع في مسائل يسيرة يزول الالتباس فيها بفعل القرينة ولهذا لم يعرها المسؤولون اهمية ما حتى الآن ولا نشك في انهـا سوف تزول اما اثر تدخل الدواوين المختصة واما بدافع الدقة التي تميز بعض الشعوب جماعات وافراداً وعلى كل فـان الاجانب ما ارغمونا يوماً على تبني سيئاتهم وحسناتهم معاً وهم لا ينفكون عن اقامة الحلقات العالمية لتوحيد الوحدات او المصطلحات او بعض الشوائب ، ويتباحثون ويتناقشون لتنظيم اعمالهم . وعندهم قواميس ضخمة ثمينة للمفردات العلمية يقع بعضها في ست لغات فتأمل .

٣ – اختيار المصطلحات والعود الى القديم

قلنا ان المفردات زائدة عن المدلولات في كثير من الاحيـان ومفقودة في غيرها فكيف يكون الاختيار اذاً ومن يكون الحكم بيننا ! انحتكم الى الاقدمين ونعود الى لغتهم ونتبعها حرفياً . انصعد في الزمان عشرة اجيال ونبني صرحنا العلمي بحجارتهم؟ ان الرأي الشائع هو ان الاقدمين كانوا اسلم لغة منا لقربهم من البداوة وبعدهم عن الاعاجم واخذهم عن الاصول اليونانية . ولكن

الحقيقة ابعد ما تكون عن الاحكام الجازمة العامة وهي كثيرة التشعبات والعقد كـكل الامور التي تتعلق بالاحياء . ولذلك فليس كل ما وضعه التراجمة سليماً صحيحاً بل هنالك ما هو عقيم سقيم ، فعندهم الفصيح والركيك والبليغ والردي. يضاف الى ذلك اغلاط النساخ التي تجعل بعض المقالات مغلقة لا معنى لها مطلقاً. ثم ان التآليف والتراجم العلمية القديمة تستوعب اربعة اجيال ايام لم يكن من طباعة وتتناول بلاداً شاسعة من البحرين الى الاندلس ، بلاداً كانت المواصلات بينها نادرة شاقة . ولهذا تطورت لتتبا ونشأت متعددة وهو امر يتعدى العلوم الى سائر مواطن الفكر ، فلغة الفارابي غير لغة ابن سينا ومن المعلوم ان العقبة الجوهرية التي لا بد من تذليلها هي تفهم لغة كل فيلسوف تفهماً دقيقاً كاملاً فنظرياته وبراهينه مبنية على بضع مفردات كالنفس والروح والمادة فالبلبلة التي نشكو منها اليوم كانت موجودة عندهم . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما جاء في نشرة المجمع اللغوي المصري لدى بحثه قضية المصطلحات العلميـة . قال : « فاصطلاحات الفقه والنحو والحديث والحساب والهندسة والجبر والمنطق كلها عربية . ولكنهم عندما توغلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية ، كان الفصحاء قد انقرضوا من الامصار . وتولى الترجمة بعض مستعربة الاعاجم ممن لم تستحكم مرتهم في العربية ، فعجزوا عن ترجمة بعض الالفاظ الاعجمية مع وجود مرادف لها فيا ، ودونوا من اسماء الحيوان والنبات ما لا تعرفه العرب باسمائها الاعجمية ؛ وعمت البلوى باستعمال فلاسفة المسلمين واطبائهم لهذه الالفاظ ، وخاصة من كان منهم من سلائل اعجمية ، كالفارابي والرازي وابن سينا . ولكن كثيراً من اصحاب المعجمات ابوا تدوين الاعجمي المحدث ، وعابوا على صاحب القاموس نقله لكثير من اسماء النبات والحيوان والعقاقير الاعجمية» .(سنة ١٩٣٤ص ٢٠١)

هذا ما طلع علينا به المجمع اللغوي على اننا وان كنا لا نقر رأيه بكامله نجد فيه تحذيراً للذين يقولون بالرجوع للقديم دون ترو وتمحيص .

٤ — اللغويون والمصطلحات العلمية

وسنعود بعد قليل الى قضية الترجمة ونكتفي الآن بالاشارة الى عقلية بعض اللغويين الافاضل الذين يحرصون على سلامة اللغة الى حد يريدون معه ان

يقفلوا في وجهها العالم وكل مقتبس اجنبي مع انهم يعرفون جيداً ان من المستحيل تحديد اللغة العربية ويوم نشوئها ومكانه وكيف تطورت قبل ان استقرت والمفردات التي اندثرت منها ، ويعرفون ايضاً ان من الكلام العربي المتداول الفصيح ما هو اعجمي واكثره ضاع نسبه فادخلوه في النسب العربي . وهناك ألفاظ فارسية وهندية وحبشية وعبرانية وسريانية واكثرها لم يعد يتميز اصله فعدّ عربياً . واليكم امثلة نستمدها من مجلة المجمع المذكور ، من مقال للاستاذ بندلي جوزي ، وفيه يذكر ان في العربية ما يقرب من سبعمئة كلمة اصلها يوناني بعضها يرقى الى الاجيال الاولى للمسيح ايام لم يكن للعرب آثار مدونة محفوظة :

برج ، زوج ، سفينة ، منبر ، جنس ، جزية ، جسر ، درهم ، قطر ، لص ، كيس ، نوتي ، ناموس ، مرهم . . . وهلم جرا .

وقد تعمدنا ذكر هذه الكلمات لان فيها من الفصاحة العربية والصيغة العربية ما يبعث على الشك والحيرة ، وكذلك قل عن المدينة فأن اصلها سرياني وبلد واصلها غالباً لاتيني وقرية فينيقية تحريف قرتا ومنها قرطاجانة ، وضيعة وقد تكون فارسية . ولا غرابة فالعرب وهم قوم رحّل لم يكن عندهم ما يعبرون به عن الحياة الحضرية .

واذا كان العرب الاقحاح لم يجدوا غضاضة في تبنّي الكلمات الاعجمية فلِمَ لا نتبناها نحن اليوم وحاجتنا اليها اضعاف حاجة العرب الاولين؟ مع المحافظة طبعاً على الصيغة العربية وعلى قواعدها في اللفظ ووقعها الموسيقي في الآذان . ويحضرني في هذا المعرض من الحديث ملاحظة اتى عليها مفتّش الدروس الثانوية في لبنان الاستاذ واصف بك البارودي اذ قال: «كان للعرب جرأة الغزاة الفاتحين الذين يحتلون البلاد واللغات ولا يرون في ذلك حطاً من سيادتهم» اما نحن فاخشى ان يكون لنا بعد عقلية الخاسر المنكمش فاذا تناولنا كلمة اعجمية فكأننا ملكتنا . نضرب مثلاً واحداً من مئات ! يريد المجمع اللغوي المصري ان يقال بدلاً من j'ai téléphoné أرززت ! ! اما في لبنان فيقول العامة تلفنت وهو تركيب عربي سائغ على اللسان والاذان . ولا شك ان لفظة هتفت افضل من تينك اللفظتين ولكن لا مانع مبدئياً من التعريب اذا لم نجد في العربية كلمة سلسة تفي بالمراد .

ولا نرى بدًا من الاشارة الى امر هام هو ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة يخضع لقوانين الحياة كما انها اداة للتعبير وليست غاية تقوم بنفسها فلا مبرر اذن ان نسخر العلم للغة ونتخذ له من المفردات ما بلي منها ، توصلًا الى احيائها فما وجد العلم لبعث الاموات . نقول هذا حدًا من مساعي بعضهم والكشف عن عقلية رجعية . فمن مقترحات لجنة المجمع اللغوي المصري للتعبير عن :

١) yacht دونيج ونهبوع بدلًا من يَخْت فانظر الى غرابة هاتين اللفظتين المتوعرتين اللتين لا يتبادر الى ذهن احد انهما عربيتان ، بعكس يخت .

٢) train rapide : الجهيز وهو الخفيف من الخيل . ولعلهم ارادوا به ، على سبيل الفكاهة طبعاً ، الموت السريع كما جاء في اللغة ايضاً .

٣) Express : الزفوف وهو من النوق الحسنة السير السريعة .

٤) Volant d'une voiture : دَوْطيرة وهو اسم مهجور لكوثل السفينة .

كأني باصحاب هذه المقترحات لا يهدفون من ورائها الى اداء المعنى بل الى بعث اللغة كلمة المختصة بالابل والخيل من مراقدها وقد كفانا المجمع شر هذه الكلمات النابية الجافية في اجتماعات متأخرة واقر كلمتي سباق وسريع .

على ان اللغة مع ذلك لا تقوم على قرارات مجمع مـا بل على استعمال الكتاب واصحاب الجرائد والعامة وكلما توعرت المصطلحات اتسعت مسافة الخلف بين اللغة العامية والفصحى .

٥ – عودة ثانية الى الاقدمين

اما وقد اظهرنا المساوئ الناجمة عن تسخير العلم للغة فلنعد الى المصطلحات العلمية وكيفية انتقائها فنقول : لا بد من اللجوء الى كتب الاقدمين فان ما وضعوه من عشرة اجيال ونيف قد بعث في مؤلفات النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر . فان ما يدرسه اليوم فتياننا في الحساب والطبيعيات وعلم الهيئة والهندسة يكاد يكون بكامله في كتبهم الا ان ما نأخذه على مؤلفينا المحدثين هو انهم لم يحسنوا دوماً الاختيار كما انهم لم يحسنوا التنقيح والتحرير وعلينا

وما كان المتقدمون ينظرون في مضروب اكثر من ستة اعداد متساوية في نفسها ونفضل لفظة قدرة على قوة تاركين القوة للتعبير عن force جاعلين لكلمة puissance المستعملة في الفيزياء والرياضيات مرادفاً واحداً في اللغة العربية . وهو اوجه .

اما لفظة شيء . فقد تغلبت عليها في عصرنا لفظة المجهول رغم فصاحتها وسهولتها ونجد لفظة شيء في كتب الغربيين القديمة أخذاً عن العربية . فقد جاء مثلاً في الحلّ المنظوم شعراً لمعادلة الدرجة الثالثة الذي اوجده العالم الايطالي تارتاليا سنة ١٥٣٥[1] :

Quando che'l cubo con le cose appresso.
Se aggaglia a qualche numero discreto.

اذا كان المكعب المضاف الى الاشياء مساوياً لعدد ما اي $س^٣ + ب س = ح$.

ومن اللجوء الى كتب ائمة العرب الرياضيين ندرك سبب التشويش الحالي في التعبير عن بعض الالفاظ البسيطة امثال directrice, inscriptible, trapèze . . .
ونتوصل مع الاستعانة بالاصول اليونانية الى التعبير الصالح الفصل .

٦ – التعريب اي نقل المفردات بلفظها الاعجمي

لا شك ان كتب الاقدمين لن تمدنا بمصطلحات العلوم الحديثة كاملة فمئات من المسميات نكرة عندنا . فأية فئة منها يجوز او يجب نقلها الى العربية بلفظها الاعجمي ؟ .

قد يثور غضب بعض اللغويين لسؤال بريء يجدون فيه تهجماً على سلامة اللغة . ولكن الحرص على لغتنا اكثر من الالمان وهم مبتدعو نظرية الجنس الآري ؟ اننبذ ما اقدم عليه اجدادنا من قبل في سبيل انماء اللغة واحيائها ونخطئهم ونقبحهم ؟ ومتى افسد الباذنجان على العرب لغتهم ؟ ولعل الخطر ليس في ادخال المفردات بل الاساليب الاجنبية الركيكة ؟ ولكنا نعتقد ان الروح العربية اقوى وانها ستتمثل الدخيل الاجنبي وتحوله الى جوهرها كما يتمثل الجسم الاطعمة المختلفة ويحولها الى دمه ولحمه . وهذا الامتزاج امر نشهده في سائر

١) ذكر في الترجمة الافرنسية لكتاب الفكاهات الرياضيات لروز بال الجزء الثاني .

مظاهر الحياة فالموسيقى العربية مثلاً تزدرد اليوم القطع الاوروبية بشهية عجيبة ولا شك ان ساعة الهضم والامتثال سوف تدق يوماً .

جا. في مجلة المجمع اللغوي المصري : « ودخول الاساليب الاعجمية في اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلي ، ثم نشط في العهد الاسلامي ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثر ونما في العصر العباسي ، وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع ، حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجح ميزانه وطغى طوفانه ... لكن الاساليب الاعجمية موجودة في اللغة العربية على كل حال . وربما وجد لها شواهد في شعر عدي بن زيد العبادي الذي تربى في بلاط الاكاسرة وله شعر كثير مملوء بالكلمات الاعجمية فيبعد الا يكون في شعره اساليب اعجمية ايضاً . وكذا يقال في شعر الاعشى وغيرهم من الشعراء الذين خالطوا الاعاجم وتأثروا بثقافتهم .

... اما نشوء الاساليب الاعجمية في صدر الاسلام فيكفي شاهداً عليه ما قاله ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين : .الا ترى ان عبدالحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها الى اللسان العربي ». (١٩٣٤ ص ٣٣٣) .

ويستدل من ذلك ان من الضروريات في اللغة ما لا مفر منه ، والقضية في التعقل وعدم المبالغة . وقد أقر المجمع المصري انه « اذا لم يجد بعد البحث اسماء عربية لها (اي للمصطلحات) وضع اسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق او مجاز او غير ذلك ... فاذا لم يوفق في هذا التجأ الى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة واوزانها بقدر الطاقة ...

ويجيز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ».

فاذا ما اقررنا مبدأ التعريب تحول النقاش الى مدى تطبيقه. مثال ذلك . يريد المجمع المذكور ان يترجم كلمة yard بالذراع الانكليزية و mètre بالذراع الافرنسية وما العمل اذاً بالمقاييس الاخرى taille, toise, pic ... وهي عشرات! مع العلم ان « متر » و « يرد » لفظاً عربيتان بدرجة فتر وبيت وهما شائعتان

اما شيوع بين العامة والخاصة ، ويجدر اعتبارهما لفظتين « دولتين » . ويريد ترجمة mark, franc بدينار افرنسي ، ودينار الماني مخالفاً بذلك سُنّة الاختصار والتسهيل بادلاً كلمة اجنبية باثنتين ونحن نرى ان تنقل بألفاظها الاعلام مثـل Watt, Ohm, Ampère . . . وكثير منها اصبح اسماً لوحدات المقاييس ويؤخذ لفظها الصحيح عن لغتها الاصلية Ampère عن الافرنسية ، Ohm عن الالمانية وهلم جرّاً . ولما كان اللفظ الأجنبي لا تؤديه دوماً الاحرف العربية فيتبع في نقله قواعد معينة وافية فنقول پ عن p وڤ عن v وقس عليه كما هو وارد بالتفصيل في الابحاث المختصة . وفي ذلك الدلالة على نسبه الاجنبي ولا نرى ضرورة من تحويل Ampère الى امبير بالباء. فهل نمنع عارف اللفظ الاصلي من لفظه صحيحاً ؟ وباعة الجرائد في شوارعنا ينطقون بالاسماء الاجنبية صحيحة وهم أُميون .

واما الاعلام القديمة او الحديثة التي اشتهرت بنطق خاص في اللغة العربية فتبقى كما عرفت اوقليدس ، ارسطو . . .

وتعرب ايضاً الا في ما ندر اسماء وحدات المقاييس التي لها صيغة عالمية امثال décagramme, kilogramme, hectogramme ومشتقاتها . . . gramme, dyne, litre الخ . . . ولا نرى رأي المجمع المصري القـائل بان يترجم décimètre بالعشر و centimètre بالعشير و millimètre بالمشار وغايته احياء ثلاث مفردات عثر عليها في زاوية منسية من المصباح . والالفاظ cent, milli, déca . . . تدخل على وحدات كثيرة ويستحيل عملياً الاستغناء عنها وكذلك تنقل بالفاظهـا اسماء العناصر الكيماوية والاجسام المشتقة منها الا ما شاع عند العرب قديماً كالكبريت والقار فنقول tungstène, cobalt, cadmium, brome, bore ويحتفـظ بالاحرف اللاتينية للرموز .

هذه بعض احوال يتوجب فيها التعريب وليست غايتنا ان نحيط بجميعها . ولا نظننا مبالغين في نهج هذه الخطة من النقل ونحن ممن يودون ان تسحب من التداول ومن افواه سائقي السيارات امثال كاربيراتير ، موتير، شمبرير، أكس، بوجي . . . وان تبدل بألفاظ عربية كالمفحم،والمحرك كما حلت السيارة والطائرة مكان الاتوموبيل والاڤيون . وفي استعمال العامة لهذه الكلمات دليل واضح على ان العلم والصناعة قد دخلا الاسواق قبل المدارس وكتب اللغة .

لا بد من المحافظة على العهود

او إشراف شمس العقود على الافول

بقلم شارل فابيا

استاذ في معهد الحقوق

حفزني حب الاستطلاع المهني لما كنتُ في « ياباسي » « Yabassi » احدى مدن الكمرون الفرنسية الرئيسية ان ازور محكمتها واشهد احدى جلساتها ، فذهبت اليها ، فاذا بها كناية عن ردهة فسيحة كان يسود عليها ضرب من الرهبة، وفيها قاضيان من ابناء البلاد يحاولان التوفيق بين شخصين متخاصمين، ويدرسان دعواهما، فما كان مني الا ان جلست بالقرب منهما مع الترجمان .

وكان احد المتهمين رجلًا طاعناً في السن تكسو وجهه لحية رمادية وتلمع عيناه بين اجفان تكاد تكون مطبقة. اما الثاني فكان فتى ممشوق القامة تبدو على وجهه علائم الصراحة .

وبعد ان اطلع الترجمان على قضيتهما لخّصها لي كما يلي : هذا الفتى يدعى بيير وقد كان صاد سمك، فاوصى الشيخ المسنّ المدعو « نكومو » النجار، ان يصنع له زورقاً على ان يدفع له الثمن ثلاثمئة فرنكاً .

وقد جاء في بنود الاتفاق بينهما : على « نكومو » ان يسلم قبل الشتاء الزورق الى بيير، ومضى خمسة اشهر او ستة على الاتفاق بينهما والشيخ لم يسلمه الزورق مع ان بيير قد دفع له اقساطاً من ثمنه بلغت قيمتها مئة وعشرين فرنكاً.

ويقول «نكومو» ان باستطاعته ان يسلّم خصمه زورقاً صغيراً جد الصغر ربما كان اوفق ان يلهو به ولد صغير في احد الانهار اكثر منه لبيير الذي لا يخوّله الزورق ان يمخر في ماء راكد. ومع ذلك يطلب «نكومو» ان يكون الثمن مائتين وخمسين فرنكاً لا مئة وثمانين .

وساء بيير الذي كان مسيحياً وقضى بعض الوقت في المدرسة ان يرى الاستقامة عرضة للامتهان، كما ساءه ايضاً من انتهاك حرمة العقد انتهاكاً صريحاً.

اما « نكومو » فلم ينكر اقوال خصمه ولكنه استغرب منه هذا الاصرار على البرّ بالعهد .

ورجال الادارة الفرنسيون في غير بلادهم يُعنون بعادات الشعوب التي عُهد بها الى فرنسا، حتى جعل عدد كبير من الملحوظات التي دوّنوها في هذا الصدد موضوعات اطروحات للفوز بشهادة الدكتوراه في الحقوق[١] .

وذهب الباحثون المنقبون الذين يُعنون بدرس حياة البشر (Musée de l'Homme) واقاموا بين هذه الشعوب ، وقد وضعوا كتباً لانهم كلهم من ذوي الكفاءات وصفوا فيها وصفاً دقيقاً حياة هذه الشعوب الاجتماعية[٢] .

فثمة مؤلفات في متناول الجميع تصوّر عادات زنوج افريقية الاستوائية ، في خليج « غينيه » او في السودان[٣] ، وتعالج هذه المؤلفات مطولاً قوانين الزواج والعيلة والوراثة ونظام الملكية العقارية . اما عقود المقاولات التي تحتل مكانة رئيسية في اقتصادياتنا وحقوقنا فنضرب عنها صفحاً ومن العبث ان نجد فيها بعض الايضاحات عنها .

ومراقبة زنوج افريقية عن كثب تحملنا على ان نرى في حقوقهم التقليدية المرونة التي تنظم اعمالهم انهم يكادون يجهلون مفهوم العقد عندنا .

وما اكثر ما تتاح الفرصة للمواطن الافريقي الذي يكفيه القليل لمعاشه ان يقايض بمنتجات حراثته والبهائم التي يربيها والحيوانات التي يصطادها اوان يبيعها . فلذلك لا بدّ للصياد ان يطلب من الحدّاد نبالاً لقوسه والفلاح حديداً لحراثه او ادوات زراعية اخرى .

ولا تجري هذه الاعمال بينهم الا عن طريق المبادلة او استخدام نقد لشئها يدعى (الكويري) cauri . اما اليوم فانهم يستخدمون بدلاً منه الفرنك او الشلن .

وتجري العقود بينهم من دون ان تتضمن اية موجبات كانت اي على قاعدة

---

١) ومن هذه الاطروحات التي قُدّمت في معهد حقوق بيروت : Maurice BERTAUT, *Le Droit coutumier des Boulous* ; Yves NICOL, *La tribu des Bakokos* ; François PUIG, *Étude sur les coutumes des Cabrais*. وما هذه الكتب الّا الجزء اليسير من الاطروحات من هذا النوع .

٢) مثلاً : (السودان الفرنسي) Denise PAULME : *Organisation sociale des Dogons*

٣) مثلاً : Maurice DELAFOSSE : *Les Nègres*

المقايضة التقليدية تارة او على مقياس العدل طوراً. ففي السودان نرى مبدأ المقايضة في اساس كل عقد وكل قاعدة للحياة الاجتماعية، ولا حياة لجمهورهم الا على قاعدة التبادل. ولقد شهدنا فتياناً يدرسون الحنطة في اثنا. فصل الحصاد ليتناولوا اجرتهم من المشروبات بعدئذ، وكذلك الحداد فانه يقدم للفلاحين ادواتـه الزراعية في غضون فصل البذار، ولا يقبض ثمنها في الحال. وانما متى انقضى الموسم يقوم برحلة يطوف فيها القرية حاملاً قربة بيده من جلد الماعز، فيتقدم من الذين باعهم ادواته ويعرضها عليهم فيلقون فيها شيئاً من محصول الذرة التي حصدوها بفضل ادواته ... وتجري الاعمال من هذا النوع يومياً وفقاً لمفهوم ان دلّ على شيء. فانما هو يشير الى اهمية مبدإ التريث لقبض الثمن[1] ...

فما اشدّنا بعداً عن منطوق واجبنا الجامد الناجم عن التعاقد حسب طريقة الرومانيين! واذا كانت الحقوق لدى شعوب البحر المتوسط القديمة تشتمل على اشكال عديدة بزاياها الخاصة الرسمية لجعل العقود والارتباط بها كمقاولات مقبولة الشروط، فاننا لا نلحظ شيئاً من هذا النوع في الاجراءات الموروثة عن جدود سود افريقية الاقدمين. فعندهم البحث في شؤونهم التجارية والتعاقد بوضع اليد باليد الطريقة المعروفة لدى الجميع، بيد ان هذه العادة لا تشكل لديهم عهداً باتاً كما هي الحال لدى الفلاحين الاوربيين، بل تدل على مهادنة بسيطة اذا ما تباينت المصالح لتشير الى قبول مصالحة موقتة لا امل منها.

ولقد تمّ الاتفـاق بين بيير و « نكومو » يوماً على بناء زورق بثلاثة فرنك وكان نكومو يعترف بذلك. اما بيير الذي اوحى اليه ارتياده المدرسة ومخالطته البيض ما يكنه هؤلاء من احترام للعهود التي يقطعونها بتوجب عقد بينهم فكان يقول: من واجب نكومو ان يقوم بتنفيذ ما وعد بعمله بحسب الثمن المتفق عليه، وان لم يكن حجم الزورق محدداً لان الاستقامة توجب عليه ان يبنيه كافياً ليستخدمه بيير، فنكومو لم يكن يجهل عندما تم الاتفاق قامة بيير ولا مهنته، على حين ان نكومو رفض بعقليتـه الجامدة كافريقي قديم وبدون ادنى مبالاة ان ينجم عن ذلك الاتفاق واجب الزامي عليه ان يتمه بصرف النظر عن اي اعتبار جديد اخر، من حيث اذا كان ذلك من مصلحته او مما يلائمها.

[1] Denise PAULME, *op. cit.*, p. 559.

- ولم يكوّن العقد بينهما الا ضرباً من ضروب المصالحة التي يظل احد الطرفين المتعاقدين حرًّا في ان يضع حـدًّا له متى شاء من دون ان يكون للفريق الآخر ان يرى في ذلك ما يخالف القانون .

وربما كان نكومو يعرف ان للبيض مفهوماً في هذا الموضوع مختلفاً عن مفهومه،وعلى كل انه مفهوم يطبق عندهم ولا يصلح العمل بموجبه الا في العلائق بين السود والبيض وذلك اذا ما دعت الحاجة فقط . اما في علاقات السود بعضهم ببعض فلا قيمة له .

ولهذا السبب لم تتحقق المصالحة بينهما في تلك الجلسة . اما القاضيان اللذان عملا على اتفاق الوفق بينهما فلم يقررا رفض اعادة النظر في امرها ، فكأنهما شعرا وجدانياً ان الاتفاق يتعدّى نطاق الدعوى التي كان عليهما ان ينظرا فيها بالاستناد الى مفهوم موروث عن الجدود يعرفونه حق المعرفة وبين مفهوم جديد كانوا يستشعرون ضرورته كقاعدة للعلائق الاجتماعية في وسط اخذت تتطور فيه ضروب النشاط الفردي وشرعت تتباين شيئاً فشيئاً . على حين ان المبادلات كانت آخذة بالاتساع على صعيد واحد مع ذلك التطور . ولو كان قُدر لهما الوصول الى تحقيق الاتفاق بين المتداعيين فانهما كانا يعتبران ان تطور تقاليدهم هو للمصلحة العامة .

ولم يكن لديّ سبيل الا ان اقدّر لذينك الشهمين وجدانهما وحكمتهما، ولا سيما لانهما لم يحاولا التملق الى السلطة الاوربية التي اسندت اليهما وظيفتهما، ولم يجربا ان يفرضا بالعنف القاعدة التي يعمل بها البيض ، ويعدونها اسمى من قواعدهم ، من حيث قيمة العقود الملزمة، وذلك في الوقت الذي كان يبدو فيه البيض على استعداد للتخلي عن التقيد بهذه العقود وان لم يعلنوا صراحة رأيهم هذا .

٥

ما برحت حياتنا الحقوقية تسيّرها قواعد بعضها من الوصايا العشرة وبعضها حديث النشأة ، وهذه الاخيرة ليست من السمو في الدرجة التي للقواعد القديمة .

ولقد ورثنا الكثير منها عن الحقوق الرومانية كما كانت في القرن الرابع المسيحي : كالقاعدة القائلة ان العقود الصحيحة وان في ابسط اشكالها تكوّن القانون للمتعاقدين حتى ينتهي تنفيذها : « تجب المحافظة على العهود » .

وعندنا ان العقود التي تمت شرعاً تكوّن حتى الانتهاء من تنفيذها القانون للمتعاقدين . فمتى كان الفرقاء المتعاقدون ذوي اهلية تمكّنهم من التعاقد سواء من حيث سنهم او صحة عقولهم ولم يجردوا من ممارسة اهليتهم وتمموا عقداً بدون خطأ وتحيّل او اكراه مبطل بشأن عمل ممكن مشروع، فان رضاهم تتلد منه موجبات عديدة بحسب طبيعة العقد ومزاياه وتكون قابلة للتنفيذ بواسطة الاكراه الاجتماعي .

ان المدين لا يستطيع ان يتفادى عن ايفاء الدين الذي تعهد بـه واذا لم يسقط الدائن دينه ولم تكن هناك قوة قاهرة ، فان ادعاء المدين الخسارة في اعماله والخطأ في تقدير ما كان يقع على عاتقه بسبب الظروف التي لم يكن يتوقعها في اثنـاء العقد ، فثقلت كاهله تثقيلاً لم يكن بحسبانه ، لا تجعله غير موجب بالايفـاء . فاذا رفض ان ينفذ ما تعهد به لانه اصبح حملاً باهظاً عليه لم يكن يتوقعه وانه سيؤدي به الى الافلاس ، فانه لا يعرض نفسه للحكم عليه والاكراه القانوني فقط ، بل الى تلويم الرأي العام له : من وعد بشيء عليه ان يبر بوعده .

٭

لا يتناول مفهوم قيمة العقود الموجبة ، العلائق الفردية فحسب، بل يتعداها الى علائق الامم بعضها ببعض ، ويستند في ذلك الى حق الافراد فقط التي اصبحت تقليداً دولياً معترفاً به، بل الى معاهدات اخذت بالازدياد والتعقيد يوماً عن يوم .

وفيما يختص بعلائق الامم لم تبق قيمة العقد مقدسة الى تلك الدرجة حتى لا يجوز مسها . فمنذ وقت طويل سلموا بتخفيف حدة المعاهدات (تعديلها) باعتبار ما طرأ من تبديلات على الظروف بعد عقدها، وحتى في وقت لمدة معينة فان تنفيذها بالحرف لم يكن موجباً الا في الحالة الراهنة . اما في الحالة المعاكسة فتعدل او تهمل .

ولما كان تقدير تبدل الظروف عرضة للاخذ والرد في تحقيقه، ولما كانت مراجع تنفيذ الموجبات الدولية ما زالت بدائية جد البداءة، فلذلك لا نستطيع ان نقارن مفعول المعاهدة الالزامي بقوة العقد الخاص الالزامي .

اجل ان الحقوقي يجعل تمييزًا بين الحقوق الداخلية والحقوق الدولية وبين القواعد التشريعية، على حين ان الجاهل يقبل بالفطرة وحدة الحقوق بصفة كونها قاعدة اجتماعية قد تعممت — والظاهر ان تطوّر الحقوق لا يشجب هذا الشعور.

ووفقاً للغة رجال القانون: لا بدّ ان يكون هناك جذع مشترك لاننا نتكلم عن فروع الحقوق.. وانجازًا لهذه الصورة المجازية يسعنا القول ان شجرة الحقوق تنبت في وقت ما فروعاً جديدة كأنها تختلف عن الفروع السابقة، ومتى اصبحت غضّة تشابكت اوراقها باوراق الاغصان الاخرى. ولذلك اشار الحقوقيون المتوقدو الذهن[1] الى تداخل الحقوق بعضها ببعض. وفي الواقع ما زلنا نجهل كيف كان قضاة الامبراطورية الرومانية يطبقون في احكامهم مبدأ «يجب الحفاظ على العهود» واي تعديل يخفف من حدته كانوا يلجأون اليه في سبيل اقرار العدل.

والذي نعرفه ان علماء الحق القانوني في القرون الوسطى كانوا يعتبرون البند — بحسب الحالة الراهنة — (rebus sic stantibus) متقدرًا ضمناً في جميع العقود وحتى في عقود الحقوق الخاصة، لانهم كانوا يقولون ان المتعاقدين مفروض فيهم انهم اخضعوا ضمناً قيدهم بتنفيذ موجبات عقودهم المعينة للمحافظة العامة على الحالة الراهنة القائمة في وقت اتمام العقد.

وتبنت هذه النظرية مدرسة بارتول (Bartole) ومن ثم التعليان الايطالي والالماني حتى القرن الثامن عشر. اما كبار مشترعي القرنين السابع عشر والثامن عشر الفرنسيين فنبذوها، يحفزهم حرصهم على ان يجعلوا الاستقرار في جميع القوانين استقرارًا يبدو اقل وهماً مما هو عليه في الاوقات الحاضرة.

وفي الخارج قبل كروتيوس (Grotius) وبوفندرف (Puffendorf) ان يقتصروا في تطبيقه على الحقوق الدولية. اما القانون المدني الفرنسي وعلماء حقوق التاسع عشر فاهملوه كل الاهمال في الحقوق الخاصة.

[1] Jean RIVERO professeur à la Faculté de Droit de Poitiers *Droit public et droit privé : conquête ou statu quo.* Chronique au Dalloz, 1947, p. 69.

ان عدم الاستقرار في الحالة الاقتصادية الذي مرده الى عهد الحربين الكبيرتين اللتين بدأت اولاهما سنة ١٩١٤، والاحترام الكبير للمزايا التقدمية في علم الحقوق، وتأثير مفاهيم الحقوق العامة – كما اشرنا – على مفاهيم الحقوق الخاصة، قد آلت الى حلول رشيدة، وبيّنت ان ثمة تقرّباً في الحقوق الخاصة من مفهوم مشترعي القرون الوسطى، الذي بطبيعته ظلّ، كما رأينا، مفهوم الشعوب التي لم تجارنا في مضمار التطوّر.

ه

وجاء في نص المادة ١١٣٤ من القانون المدني الفرنسي بعبارات جازمة:

«ان العقود المكوّنة قانونياً تقوم مقام القانون لدى الذين عقدوها. فلايستطاع فسخها الا بتوافقهم جميعهم وللاسباب القانونية».

وتنص هذه المادة نفسها ايضاً على انه «يجب ان تنفّذ بحسن نيّة». وفي غضون المئة السنة من الاستقرار الاقتصادي التي تلت القانون المدني لم يخطر ببال احد ان يكتشف بعبارة «حسن نية» فاتحة لتطبيق البند القائل «يجب المحافظة على الحالة الراهنة»، مع انهم قد استنتجوا من المادة ١١٣٤ انه على القاضي ان يتقيّد بالعقد كتقيّده بالقانون نفسه، فلا يعدّل شرطاً من شروطه ولو مهما كانت اعتبارات العدالة واضحة بخصوصه.

ولهذا السبب ابت محكمة التمييز الفرنسية سنة ١٨٧٦ على القاضي صلاحيته ان يرفع ديناً بواسطة عقد في القرن السادس عشر معين فيه اصلاح اقنية الري – على انه من الواضح ان القيمة المنصوص عليها في العقد اصبحت لا تكفي ابداً عقب التبدلات التي طرأت على النقود.

واحكام كثيرة من هذا النوع وكلها واضحة الحجة قد رُدّت[1]، وفي سنة ١٩٣٣ نظرت محكمة التمييز الفرنسية بدعوى في اصلها ان احد المدينين بالمشروبات كان قد تعاقد مع صانع جعة لم يكن بتاريخ العقد يصنع غيرها من المشروبات على انه من عنده فقط. وبعد ان وسّع صانع الجعة عمله وشرع يصنع (الليموناده) و (الكازوز) ادعى على ذلك الرجل بان تعاقده معه

(1 Cassation française, 6 mars 1876. aff. Canal de Craponne. D. P. 76. I. 193 ; 17 Juin 1896. D.P. 99. I. 159; 8 août 1900. Sir. 1903. I. 46.

يجبره على ان لا يتموّن الا من عنده من هذه المشروبات[1] . وكررت المحكمة تأكيدها انه لا يجوز للقاضي لسبب عدل او لاي سبب آخر كان ان يعدّل عقداً انشيء بكل حرية ويحمله يشمل بضاعة اخرى لم ينصّ عليها . .وفي هذا الباب يشتمل قانون الموجبات اللبناني على عبارة اشد مرونة واكثر حكمة من عبارة القانون المدني الفرنسي وقد نصّ في مادته ٢٢١ : « ان العهود المنشأة شرعياً تجبر المتعاهدين وعليهـا ان تُفهم وتأول وتُنفذ حسب حسن النيّة والعدل والعادات » .

والعبارة التي اقترحها الشارع اللبناني هي العبارة نفسها التي اقترحها احـد الحقوقيين الفرنسيين الذي لم يكن يجهل القانون المدني ولا قيمة الكلمات وانما كان من ذوي العقول النيّرة التقدمية الانسانية[2] .

ولا مندوحة من ان يزول الاختلاف بين العبارتين الى حلول تختلف اختلافاً محسوساً عن الحلول التي جئنا على ذكرها .

وثمة متسع لنأخذ بعين الاعتبار في المادة ٢٤٩ من قانون الموجبات : « يجب على قدر المستطاع ان توفى الموجبات عيناً اذ ان للدائن حقاً مكتسباً في استيفاء موضوع الموجب بالذات » .

د

ان موجبات الملتزم والمقاول في العقود الحكومية كالتزام للمصلحة العـامة وكسوق الاعمال العامة (وعنابر التجهيزات) لاشد صرامـةً حيال الدول والمجتمع العام من موجبات المدين بعقد خاص . ففي حالة الشك يُفسّر العقد اولاً بشكل صراحة لصالح قيام المصلحة العامة باعمالها قياماً منتظماً ، مفيداً وفقاً للتقليد العام، الملتزم والمقاول مجبران على تنفيذ كامل شروط العقد طالما بالاستطاعة الوفاء . بياولو طرأت حوادث استثنائية لا دخل لارادتهما بها وجعلت امر تنفيذها يلقي عبئاً باهظاً عليهما ويؤدي بهما الى الافلاس .

وما الذريعة في هذا الصدد الّا قولهم ان القضية هي تأمين استمرار المصلحة

[1] Cassation française, 8 mai 1933, D. Hebd. 1933, 395.

[2] Louis JOSSERAND, professeur à la Faculté de droit de Lyon. Conseiller à la cour de Cassation.

العامة وانتظامها لان توقفها يحدث اضطرابات اقتصادية واجتماعية خطيرة ولان الحكومة نفسها لا تستطيع ان تحلّ فوراً محل الملتزم والمقاول ، ولا ان تجد خلفاً، بالشروط نفسها التي لم يتقيدا بها . واذا فسخ المقاول عقد تعاونه مع المصلحة العامة من دون ان تكون هناك موانع تجعل الوفاء بشروطه مستحيلاً، اعتبر مسؤولاً وغرّم العطل والضرر وسقوط حقه من العمل وتحمل الاضرار والخسائر . وانه لحلّ شديد القسوة في العقود ذات الآجال الطويلة، اذ ان هذه العقود في التزامات المصالح العامة قد تمتد غالباً الى نصف قرن او الى قرن تقريباً . على حين ان الاوضاع الاقتصادية قد اصبحت منذ الحرب العالمية الاولى لا تعرف الى الاستقرار سبيلاً . لكنهم يتذرعون لتبرير هذه القسوة بمصلحة الامة العليا التي كانت تنطبق على مفهوم القانون المدني القائل بقوة العقود الموجبة .

وفي اثناء الحرب العالمية اوجد ارتفاع اسعار البضائع والخدمات بسبب كثرة الطلب وتدني ثمن النقد، حالات عديدة اضطرت المقاول والملتزم الى الافلاس من جراء تنفيذ موجباتها. ولكن هل لكل منهما من فائدة اذا ما افلسا او اذا ما اصبحا في وضع يستحيل فيه عليهما الوفاء بتعهداتهما، على حين انه لم يكن احد مستعداً لا الامة ولا الفرد ليستأنفا عملها في شروطها نفسها ؟

وبدلّ المحكمة قبل قاضي الادارة الفرنسي ومجلس الشورى منذ سنة ١٩١٦ ان تؤازر الحكومة من يعاونها ليقوى على التغلب على الضائقة التي كانوا يعتبرونها ستنتهي بانتهاء الحرب . فنشأت عن ذلك نظرية غير المنتظر التي توجب على القاضي ان لا يصلح العقد، وانما ان يحكم على المقاول بالوفاء بتعهداته والتعاون مع المصلحة العامة بموجب شروط العقد وذلك حيال الحوادث الاستثنائية التي لا ارادة للمتعاقدين فيها التي كانت غير متوقعة في غضون اتمام العقد. وانما يحق للمقاول ان يطالب باشتراك الحكومة في الخسائر تحت شكل تعويض [1] . وفي سبيل تحديد هذا التعويض ينبغي ان لا نأخذ بعين الاعتبار الربح الذي لم يُغنم به، وانما الخسارة الناجمة عن مجموعة العقد، واذا كانت تستدعي الافلاس وقابلة لتفضي الى ايقاف المصلحة لتضرّ بالامة .

[1] Le premier arrêt du Conseil d'Etat fut rendu au profit de la Compagnie du Gaz de Béthune le 30 mars 1916.

ولقد كانت اول مخصصات للتعويض عن الخسائر غير المنتظرة تستند الى فكرة مساعدة موقتة للشريك في العقد، تمكنه من اجتياز فترة صعبة، على ان ينقطع التعويض متى تصبح الاوضاع الاقتصادية قريبة من اوضاع العقد وتنقطع الخسائر عن ان تكون مجلبة الافلاس .

ولما لم يتحقق الامل بالعودة الى الاوضاع الاقتصادية السابقة كان لا بدّ من النظر في تعديل العقد، ولم تستطع الامم الا ان توافق على تعديله في جميع الحالات التي بدا لها فيها انها لا تقوى على الاستغناء عن المساعدة الخاصة .

ومنذ ذلك العهد شرع جميع الملتزمين لآجال طويلة لا يحجمون عن ان يدخلوا في صلب دفاتر شروطهم بنودًا لاعادة النظر فيها . بحسب القرائن او بموجب قوانين معيّنة .

وعلى هذه الصورة قد عادوا ظاهرًا الى تطبيق العقد تطبيقًا دقيقًا ، وانما جعلوا له مرونةً لم يكن يعرفها من قبل . ولا ريب في انه اذا طرأت ظروف اصبحت معها شروط التعاقد عاجزة عن انقاذ الملتزم او المقاول، استأنفوا عودتهم الى نظرية الامور غير المنتظرة .

ه

لم تتناول نظرية الامور غير المنتظرة العقود الخاصة، وانما مذ اندلعت ألسنة الحرب اتخذ الشارع على عاتقه امر التدخل في العقود الخاصة وعمد الى تمديد اجلها . ولما دام القتال امدًا طويلا جدّد هذا التمديد ، وما هي الا بضع سنين حتى ادرك انه لا يستطيع الرجوع عن هذا التمديد بسبب ما اعترى الحالة الاقتصادية من طوارئ عميقة الّا بالتخفيف من اعباء المدينين . فاتخذت — لهذه الغاية — قرارات في لبنان منذ سنة ١٩١٩ تجيز اعادة النظر في عقود الاجارات وانشئت لجان تحكيمية خاصة لذلك .

وتوخى القراران اللذان صدرا الاول رقم ٦٥٥ بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٢١ بشأن تسديد الديون المؤجلة، والثاني رقم ٧٩٧ في ٣١ اذار ١٩٢١ بشأن فسخ بيوع الحرب هذه الغاية .

وكان هدف القرار الاول الرئيسي تمكين المدينين بعملة تركية وخاصة بعملة تركية ذهبية ان يسددوا ديونهم التي انتهى امد تأجيلها بداعي انتها .

الحرب بفائدة اقل من الفائدة التي لو ساغ للدائنين ان يطالبوهم بها وان يدفعوها بنقد لبناني تساوي قيمته قيمة الليرة الذهبية التركية بسعرها الرسمي لسحقتهم سحقاً.

ولا يهمنا في هذا البحث معدل الفائدة الذي تبناه الشارع في قراره الا قليلا، ولكن لا مندوحة لنا عن ان نذكر في هذا الصدد بعض تلك الاعتبارات التي كانت كتوطئة لقراره :

« وحيث انه من خصائص كل دولة ان تعين قيمة النقود التي أنشئت في اراضيها بموجب قانون، وحيث ان المتعاقدين من جهة اخرى باشتراطهم عملة معلومة قد تعرضوا ضمناً للتقلبات التي يمكن ان تحصل في هذه المادة من جراء نظامات تشريعية جديدة تقضي بها ظروف قاهرة او ضرورات اقتصادية ...

« وحيث ان التدابير التي اتخذت في هذا الصدد ترتدي طابع النظام العام، وان المحافظة عليها تفرضها وتقررها الضرورات الاقتصادية والحالة النقدية الحالية التي تكوّن ظرفاً قاهراً ... » الخ.

ورسم الشارع بمناسبة الديون النقدية بعبارات حكمية صريحة قاطعة حق الدولة في التدخل بتنفيذ العقود الخاصة وفقاً للظُروف الاقتصادية الطارئة التي لم تكن متوقعة في اثناء اتمام العقد « بما ان عدم انتظار وقوع الامور هو احدى ميزات حالة الظُروف القاهرة ».

وانشأ القرار ٧٩٧ قانوناً استثنائياً في لبنان وبلاد العلويين لفسخ البيوع وضمان العقارات التي باعها اصحابها في اثناء الحرب . ولقد كانت تلك العقود من المتفق على فسادها بصورة عامة لانها تمت تحت مؤثرات العنف والاكراه والاحتيال وذلك دون نظر الى الحالات الخاصة. ولم ينظُر القانون في سبيل تفادي تلك القرائن الّا ان يأتي بالبرهان المناقض لها. فكان على الذين اشتروا الاملاك في ايام الحرب لا يستطيعون التهرب من فسخها ما لم يدفعوا عنها ثمناً اضافياً يخضع لتحكيم المحكمة .

ان القرينة العامة التي لا تدحض لا تصدر عن الوقائع، فلذلك ليس لها الّا اساس قانوني. والواقع انها لم تكن الّا التعبير عن الحقوق التي ادعاها الشارع لنفسه ليعيد النظر في العقود الخاصة .

لقد اتاح تدني النقد او تخفيضه الذي توالى منذ سنة ١٩٣٦ مناسبات اخرى امام الشارع للتدخل في تنفيذ العقود الخاصة ولذلك سنقتصر على التذكير بالتدخلين الاولين .

ان القرارين رقم ٢١٢/ل.ر و ٢١٣/ل.ر الصادرين في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ قد عدلا تسوية الديون المدنية الناتجة عن اقراض النقود المدونة بعملة غير الليرة اللبنانية او السورية او الفرنك الفرنسي وتنفيذ عقود الايجارات المعقودة بعملة غير العملة اللبنانية والسورية والفرنسية .

وفي المقدمة على هذين القرارين لم يهتم الشارع لتبرير تدخله، وانما اكتفى بالتصريح « ... لتتفق الحكومات[1] على الحكم بضرورة التدابير التالية ». ومن ذلك العهد قد تصرف دائما بالتأكيد نفسه. وقد يكون من العبث ان نعدد بالتفصيل الحالات التي تدخل فيها بالعقود الخاصة في اثناء الحرب من ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ولا سيما في قضية ايجارات المنازل : لانها لا تزال ماثلة في اذهان الجميع .

ولقد اصبح من الان وصاعدا عدم تردد الشارع في ممارسة صلاحيته لاعادة النظر في اي عقد كان من الحقوق الخاصة كمبدإ ، اذا رأى الظروف تقتضي ان يتدخل .

ج

ان القدامى الذين درجوا على احترام العهد المقطوع والمواثيق الموصولة احتراما يكاد يكون اشبه باحترامهم للامور الدينية يستنكرون هذه الاجراءات ويعتبرونها كظاهرات «لأفول الحقوق» ، التي كتب احد كبار علمائنا الفرنسيين في صددها ما مآله : « ما هو ضعف الحقوق الجديدة التي تُعدّ ؟ انه هو الذي اوجدته حكومة ذات سلطان لا تعرف حدودا لاستبدادها ولا تستشعر الا بتقلبات الرأي العام .

«لا ريب في انهم ما برحوا يؤكدون انه من الواجب تحقيق العدل ، ولكنهم يقولون اليوم العدل الاجتماعي فحذار حذار كل صفة يصفون بها العدل »[2]

---

[1] Il s'agissait des gouvernements des États du Liban, de Syrie et des Alaouites.

[2] Georges RIPERT, Membre de l'Institut de France, professeur à la Faculté de Droit de Paris, *Le déclin du droit, étude sur la législation contemporaine*, Paris 1949, p. 7

« ان كل شيء يصبح حقوقاً عامة »[1]. « بيد ان اشد القلاقل يتأتى عن تدخل الشارع ... ان ذاك الاحترام « للعقود » قد زال من الوجود»[2].

ومما لا سبيل لانكاره هو ان تدخل الدولة قد كان غالباً تدخلاً اخرق اذ اعده موظفون لم تستر كفاءاتهم مع حسن النية، واقره مجلس نيابي بدون ان يتعمق في مناقشته اذا كان همه الاستعجال في اتخاذ المقررات، وغالباً ما كان هذا التدخل بغيضاً، عندما املته الاهواء السياسية وفكرة الاحزاب الانتقامية بعد وصولها الى الحكم.

ويصدر هذا التدخل عن الفكرة التي جئت بمثل حسي عليها وهي موجودة في المجتمعات الانسانية العريقة في البداية : وليست الفكرة المشار اليها غير ان العقد هو الذي ينظم علاقات البشر بعضهم ببعض بصفة كونهم يعيشون في المجتمع، فهو حتماً يتأثر تنفيذه بالتقلبات الاقتصادية الطارئة على هذا التنفيذ.

ومنذ الساعة التي لا يتم تنفيذ شروطه عفوياً ولا تظل الحالة الاقتصادية مستقرة طول مدة تنفيذها، ينبغي للمتعاقدين ان لا يعتبروا بان انجازهم لشروطه سيتم وفق نصوص عقدهم تماماً.

ان القاعدة القائلة بالحفاظ على المواثيق (Pacta sunt servanda) والمادة ١١٣٤ من القانون المدني النابوليوني قد كانتا وليدتي عهود استقرار اقتصادي واجتماعي لن نعرفه ابداً. اما المتعاقدون الفطنون فلا يفوتهم ان يتوقعوا (اعادة التوفيق) بين عقودهم والظروف الطارئة.

وفضلاً عن هذه التحوطات للمستقبل لا بد لنا من ان نتوقع ان يتدخل الشارع تدخلاً اعتاده لدى التقلبات الهامة الطارئة يوم التعاقد اما تدخلاً بنفسه واما ان يعهد به الى القضاة.

أو لا يستطيع الشارع ان يستنيب عنه القضاة ليتولوا دائماً امر التوفيق بين العقود والظروف القائمة ويمنحهم هذه الصلاحية.

ويبدو لنا ان تطوراً في هذا الاتجاه ان لم يكن قريباً جداً فليس لنا من سبيل لتنكره، وذلك بسبب استمرار عدم الاستقرار الاقتصادي واتساع مفهوم الحقوق الاجتماعي. وما علينا الا ان نتبين، بشعور مختلف، افول شمس العقود.

(1) Ibidem, p. 37

(2) Ibidem, p. 182

الأميرة هيفاء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية أدبية (تابع)

بقلم
الاب مبارك ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في البرامية

١١

الى توسكانا

ايقن الامير انه لا قِبَلَ له بمصادمة الحملة التركية وقد تفرَّق عنه محالفوه وسُدَّت في وجهه طرق النجاة الى حوران للاتصال بحلفائه فيها . ولم يبق الَّا باب البحر مفتوحاً من ميناء صيدا . فأبرم العزم على السفر الى ايطاليا قبل فوات الفرصة ما دام هذا الباب غير مقفل في وجهه . فاوعز الى الحاج كيوان ان يهيئ معدَّات السفر. وكان قد رمَّم قلعة بانياس وقلعتي ارنون وشقيف تيرون وجهزهما بالميرة والذخيرة ورتب لحمايتها فِرقاً من السكبان ونقلَ حاشيتهُ وعائلته الى قلعتي بانياس او الشقيف الَّا زوجته التي كانت في صيدا. ولم يعد يتيسَّر له ارسالها الى احدى القلعتين فعزم على أخذها معه الى اوربة .

وارسل الى قلعة الشقيف يُخبر هيفا. بعزمه على ركوب البحر ويوصيها بالتجلد على فراقه الى ان يفتح الله ابواب الفرج ويسهّل سبيل اللقا. فوقع الخبر في قلبها وقع السهام وبكت بكاء مرًّا وكتبت تقول له: الصبر يخونني منذ الساعة. لا طاقة لي بفراقك . فان شئتَ ان اكون معك حيث تكون والَّا فما بيني وبين اليأس الَّا خطوة قصيرة . ويوم تركب انت السفينة أركب انا الجنازة . تودعني وانت على شاطئ البحر واودّعك وانا على حافة القبر . اذا بلغك نبأ موتي فاذكرْ محبتي لك مدى تسع سنوات[1] قضيناها معاً تحت سقف بيتك ايها

١) تروج الامير بابنة يوسف باشا عام ١٦٠٣ ثمَّ بابنة عمها الامير علي سيفا عام ١٦٠٥. وفي ذاك العهد تروج حسين بن يوسف باشا بابنة المعني . وقال بعض المؤرخين. ان الذي تروجها هو يوسف باشا نفسه

الامير الحبيب . واذكرُ ما تقدَّمها من سني محبتنا المصورة بالاشواق والمولودة بالآلام . اذكرْ ذلك يا اميري المحبوب وبلّل المراء النربيَّ بدمعة وسلهُ ان يمرّ على قامة الشقيف ويمسح بجانحه المرطّب على ضريح زوجتك هيفاء.

فلمّا قرأ الامير الرسالة اخذ يتأوه ويتضور ويجرض بريقه ولم يملك نفسه من البكاء. وكان يعلم ان ما تقوله هيفاء انما هو مثال ما بقلبها . فايقن انه ان سافر دونها ، فان لم تنتحر يأساً هلكت غمّاً . ولم يكن حبّه اياها باقلّ من حبّها اياه . فوقع في حيرةٍ من امره. إن استقدمها الى صيداء فقد لا تبلغها قبل عَود الاسطول العثماني الى ميناها[1] وان خلّاها فقلبهُ لا يطاوعه بعد ما علم من حالها . فقرَّ رأيه على استقدامها . فالقى هذه المهمة الى الشيخ ابي نادر الخازن واوصاهُ ان يأتي بها في خمسين من مماليكه .

والقى مقاليد الحكم في غيابه الى اخيه الامير يونس ونصب ابنه عليّاً معاوناً له وامرهُ بالانتقال الى دير القمر . فاصبحت هذه المدينة قاعدة لبنان ومركز حكومته ومقرّ الامراء المعنيين فالشهابيين فالمتصرفين الى عهد الحرب الكونية. وكان الأمراء المعنيون قبل رحلة الامير يصرفون فيها طائفةً من فصلَي الشتاء والربيع وكانت قاعدة حكمهم بعقلين. وقد خفيت علة انتقالهم الى دير القمر بعد سفر الامير. ولعلّها فضل ركونه الى اهلها واعتماده على بأسهم ودهائهم واخلاصهم وبقاء وفائهم وولائهم مع ما لمدبّره الحاج كيوان نعمه الديراني من جليل الفعال في وجه المعنيين ولا سيما هربه بالاميرين فخر الدين ويونس الى كسروان انقاذاً لحياتهما من سخط تركيا المستعمي في سنة، باثر عدوهما السفاح ابراهيم .

وقبل ان يتمّ اسبوعان وطأ السفر ظهره للامير . فاجتمع الى صيداء حشدٌ كبيرٌ من اعيان الشوف ليشيّعوهُ وفي طليعتهم اخوه يونس وابنه علي . وكان في الميناء مركبان افرنسيان ومركب هولاندي استأجرها الامير[2].

فأقلّه احد المركبَين الافرنسيين في خمسة وعشرين من مماليكه وحمل الآخر زوجته خاصكية ومعها جواريها واخوها الحاج عليّ بن ظافر . واقلّ

---

١) كان احمد باشا الحافظ قد استقدم العمارة العثمانية من رودس الى صيداء حؤولاً دون فرار الامير بحرًا . وما لبث ان اقلعت لاستنفاذ مركب من ايدي القرصان على ما مرّ.

٢) قال مؤرّخ حياة الامير : وأدّى اجرتها خمسة عشر الف ذهب وبقي معه من ماله خمسة وعشرون الف ذهب ووزّع بين القلاع مئة الف ذهب لنفقاتها.

المركب الهولاندي زوجته هيفاء . ومعها الحاج كيوان وخوادمها وخمسة وعشرون مملوكاً . وكانت هيفاء قد قدمت من قلعة الشقيف بخفارة الشيخ ابي نادر وخمسين نفراً عليهم البلوكباشي مصلي اغا . قال بعض المؤرخين ان الامير استصحب اربعاً من نسائه . ولما اقلعت المراكب وقف الامير واخذ بيمناه منديلاً ابيض يزهزه في الهواء تحية وتوديعاً فهزهز المشيّعون مناديلهم وهتفوا بصوت واحد طبّق الفضاء : على الطائر الميمون ! واجهش كثيرون في البكاء . وكان بعضهم يقول : لا طال غيابك ! وبعضهم . لا عدتَ الّا ظافراً بمناك ! وآخرون : لا تنسَ رجالك وبلادك يا امير ... وظل المودعون والمشيّعون على التخاطب بالاشارات والعيون تلاقي العيون والقلوبُ تلاثم القلوبَ الى ان اتسعت شقة البعد واسبل الليل حجاب الظلام بين الفريقين .

مخرت المراكب كنسور تشق باجنحتها جوف الهواء وتطوي باسراعها فيفاء الفضاء . فاحتجب عنها البرّ واكتنفتها زرقة البحر وبينا السماء صافية وحركة الموج بطيئة وقلوب المسافرين مطمئنة اذا بالريح تعصف وبالنجوم تتوارى وراء سحاب متلبد . وبالضباب يلتف كثيفاً على السفن . وبالامواج تتلاطم وتطفو وتسقط على المراكب جبالاً . فأمست في هبوط وصعود كمن بطن وادٍ الى ظهر تلّ ومن قمة تلّ الى بطن واد . فوقع في قلوب ركابها الرعب واشتد عليهم الخطب وايقنوا بالهلاك ورفعوا اصواتهم بالدعاء . ضلّوا الطريق في جوف الازرق الغدّار وتمثل كلٌّ قبره في اعماق اللجة وبطون الحيتان . وتخالف سير المركب وابتعد كلٌّ منها عن صاحبه تتجاذبها ايدي الافتراق . وتمثل شبح الموت لرجال الامير في اشد الصور هولاً . وخانتهم الحيلة وسُدت في وجوههم مذاهب النجاة . الخوف واليأس مستوليان عليهم لكن احدهم لم ينبث بكلمة تذمّر . اخرستهم شدة محبتهم للأمير . تناسوا الخطر الملمّ والخطب المدلهمّ واقبلوا على اميرهم بثغور باسمة قائلين : بارواحنا انتَ ! حبذا الموت في سبيل حياتكَ ورضاك . وكان هو يشجعهم ويؤملهم بقرب الفرج ويثير في انفسهم رجاء الخلاص ويذكّرهم بالبسالة التي خاضوا بها المعامع وجابهوا المخاطر والشدائد وخرجوا على ذلك سالمين . لان السلامة مكتوبة لهم وما كُتب لامرىء فليس منه مفرّ .

وكان يتمنى لو كان الى جانب هيفاء في مركب واحد لكان يعضد

ضعفها ويلطف من ذعرها ، وان كان لا بد من ملاقاة الحتف في مبلع اللجة يلاقيانه معاً متعانقين فتفيض روحه على قلبها وروحها على قلبه وان ملك ان يفديها بحياته فذلك احبُّ اليه لانه اكمل في المحبة واعرق في الاخلاص . ما حيلته وهو لا يملك لا هذا ولا ذاك ! أخذ يلوم نفسه على حمله هيفاء في غير مركبه، وزاد في غمه وقلقه انه لا يدري أحيّة زوجته ام ميتة . وكان ينتقل من فكر الى فكر فما يزيده الجديد الاَّ قلقاً وعذاباً . تمثلت له هيفاء بين موجتين هائلتين انطبقتا عليها كجبلين فاذا هي بين شدقي المنون وقد بسطت ذراعيها كمن تلتمس شيئاً تتعلق به وتفزت الى ما فوق لتنشق الهواء. واطبقت شفتيها محاذرة ابتلاع الموت مع الماء. فاذا بها تنفتحان قهراً وامتلأت امعاؤها ماء وما هي الا هنيهة حتى برز رأسها ثلاث برزاتٍ وانغمست في اللجة . وكأنه سمعها تردّد في صدرها الفاظ الاستغاثة والتوديع : « فخر الدين ! اليّ اليّ ! الوداع ايها الحبيب الوداع ! الوداع ! لا غرقتَ مثلي ! فخر الدين. فخر ال...دين...» غاب وعيها ونشبت بها اظافر النزاع . وهي تتخبط في جوف الازرق العجاج. ولم تبطؤ ان امست جثة بلا روح .

وقف الامير هنيهة تجاه هذا المشهد الخياليّ المريع كأنما هو تجاه حقيقة واقعة ، فكان كأنه يرى ويسمع كلّ ما تصوره ويحسّ من نفسه انه يعاني مع قرينته المحبوبة التاعسة كلّ ما تعانيه من عذاب الفراق ومفاجأة الغرق الاليم . وغلب عليه الوهم بشدة الخوف عليها حتى أخذ يهمّ بالقاء نفسه في اليمّ فيمدّ يديه ليأخذها من يدها وينشلها ، وكأن الموج يواريها عن نظره فلا حيلة مع الحرمان ! كم ودّ اذ تمثّلها وهي تلفظ الروح لو تلقّى تلك الروح العزيزة بشفتيه فتمتزج بروحه ما دام في قيد الحياة . او لو سكب عليها روحه فتحيا بها ويموت ، او تطير الروحان معاً في فضاء الابدية الفسيح .

هذه الكارثة التي استولت على مخيّلته ومكّنها فيها إشفاق المحبّ غيّبت عن ذهنه ساعةً ذكر لبنانه المحبوب الذي لاجله عانى هذا السفر الشاقّ ووقع في هذا الخطر الذي لا يأمن شرَّ غائلته . ولشدة حزنه وانفعاله انتبه لنفسه كالمستيقظ من حلم زاعج ثقيل . واستعان على تغيير هذه الافكار المشئومة بافكار اقرب الى الفأل والرجاء .

قال في نفسه : قد تكون هيفا. حيّة وانا ابكيها وقد لا أسلم انا من الغرق وهي سالمة فينالها من الحزن ما يكون الموت بازائه اهون عليها . فما ينفعنا الساعة الا التماس النجاة من الله سبحانه . لقد قيل لي ان يسوع المسيح إله كيوان نعمه وابراهيم الخازني قد أمر الريح ثائرةً في بحر طبريا فانقطع مهبّها فور كلمته ، وهدأت امواج البحر فنجا تلاميذه الذين كانوا معه في السفينة بعد ما اشرفوا على الغرق . فاذا نجيتني يا إله محبي من هذا الخطر المحيق بي حتى لا يتشفّى بهلاكي مبغضيّ ، ثم يسّرتَ لي العود الى لبنان لاقاتل عن استقلاله فانتَ إلهي وإلهُ ذريّتي الى الدهر .

فلم يكد يتمُّ هذا النذر حتى انقلبت العاصفة نسيماً ناعماً وطغيان الماء الى سكون ، فذهب الخوف واقبل الفرج وما بطؤ الليل ان انجلى وثغر الصباح ان افترّ ، فشدّ ما كان من قلق الامير اذ نظر من كل صوب فلم يرَ مركب هيفا. ولا مركب جاكصية. قال لمن معه ما نصنع ؟ فاطرقوا مفكّرين ، فأجمعت الآرا. على المضي في السفر . قالوا ان كان المركبان قد غرقا فلا حيلة في قضاء الله وان كانا سالمين فسنعثر عليهما . وكانوا اذ ذاك في مياه الاسكندرية فلم يتزلوا اليها بل آثروا السفر لمواتاة الريح ، وراحوا ينشدون المركبين وقلوبهم بين اليأس والرجا. في عرض البحر وفي كل ثغر يمرّون به حتى بلغوا ايطاليا والقوا مرساة مركبهم في مينا. ليفورنا من مقاطعة توسكانا . فوجدوا مركب الاميرة خاصكية في المينا. لم ينله ضرٌ وجميع من فيه على احسن حال . فهنأ بعضهم البعض وتساءلوا عن مركب هيفا. فلم يقف له أحد على خبر . فنزل بالامير غمٌّ شديد ، وحزن لحزنه كل من كان معه وانثالت عليه التعزية من كل فم . مباعدين عنه اليأس حتى يحصل الايقان من مصير المركب المفقود .

اوفد اهل توسكانا يستطلعون طلع القادمين ، فقيل : فخر الدين امير لبنان وحاشيته قدموا لحاجة لهم عند كوسموس دوق توسكانا الكبير . فرحّبوا بهم وانزلوهم مكرّمين وارسلوا الى الدوق يخبرونه بقدومهم ريثما ينفضون عن ابدانهم اتعاب السفر الذي استمرّ ثلاثة وخمسين يوماً ، وبعث الغراندوق يقول للامير ان يوافيه الى بيزا احدى ثغور توسكانا ، فبينا هو يتأهب للسفر اذا مركب مقبل من العرض فتطالت اليه الاعناق وتسابقت الامال . فلما اقترب

من البرّ عرفه اللبنانيون فكبّروا وهلّلوا ورقصت قلوبهم فرحاً . ثم رسا المركب في الميناء وعليه الخاج كيوان وسائر من كان معهُ الّا هيفاء ، فاربدَّت الوجوه وتفرّس الامير في وجه كيوان فاذا كآبة ووجوم ، فانقبض فؤاده وقال : ما وراءك ؟ قال : لا يقلق الامير ، قال وهيفاء ؟ فتنهّد كيوان وقال : سالمة يا مولاي ! قال : سالمة ولا اراها ؟ قال ستراها ان شاء الله .

ثم جلسوا واخذ كيوان في الحديث قال : لا تسل يا اميري عمّا قاسيناه ليلة العاصفة من شدة الخوف والكرب والبلاء . كان مركبنا على ايدي الامواج كالأكرة على ايدي اللاعبين تتقاذفه بسرعة وتتهاداه . ذابت قلوبنا فزعاً . وزهقت نفوسنا يأساً وتقطعت اوصالنا تعباً . وزاد في بلائنا ما وقع في قلب الاميرة هيفاء اشفاقاً عليك من طغيان الامواج وتغطرس الرياح ، لقد نسيت نفسها والخطر المحدق بها وبنا ، وقامت تبكي وتلطم وجهها وتصيح : ويلي ! لا عشتُ ساعةً ولا رأت عيناي نورًا ، ان كان الموت قد نشب بمن لاجله اريد الحياة . فكنا تارةً نعزيها ونفتح قلبها للرجاء ، وطورًا نُغلب على أنفسنا فنبكي لبكائها . ظلَّت الريح تقذف مركبنا في كل وجهٍ حتى بدت تباشير الفجر فهدأ الاعصار ووقف زحف الموج ونظرناه فاذا نحن تجاه طرابلس على مسافة غلوة من ضيائها . فذعرنا وسقنا السفينة غرباً بميل الى الشمال . فلما ابتعدنا عن الثغر اذا سفينتان اقبلتا علينا من جهتين متقابلتين ، فصاح ربان مركبنا : القرصان ! القرصان ! لصوص البحر ! فانتصب شعر رؤوسنا فزعاً وامتقعت وجوه الجواري ومنهنَّ مَن أُغمي عليها من الرعب ، وبدرتُ الى السلاح وكذلك الربان واعوانه وجماعة المماليك . فخاطبنا كبير اللصوص قال : ايها الرجال لا ينفعكم القتال انكم دوننا عددًا فافتدوا انفسكم واحقنوا الدماء . قلت ما تبتغون ؟ قال : الامير فخر الدين . قلتُ ليس معنا . قال : لا نطلقكم حتى تسلموه الينا ، قلت انه على غير هذا المركب ، كانت مراكبنا ثلاثة فرّقت بينها العاصفة سحابة الليل فتوارى مركبان ولا نعلم ما صنعت بهما الاقدار . — قال : إذن نأخذ هؤلاء النساء وكلّ المتاع . — قلت : خذوا نصف المتاع واكفونا شرَّ القتال . — قال : لنا كل ما في المركب والنساء قبل المتاع . — قلت : عدّوا عن هذا المطلب الوعر ، لَأَيسرُ من منالهنَّ النجوم .

فوثب احدهم الى سفينتنا فغرزت مُديتي في صدره الى القلب فانقلب الى الماء يصبغها بدمه . فهجموا هجمة واحدة بالسيوف والمدى والهراوي والدبابيس فوقعنا عليهم بشل سلاحهم بصدور لا يدخلها الرعب ، وبعد ساعة اسفرت المعركة عن مقتل مملوكين من رجالنا وستة من رجالهم ،اما عدد الجرحى فكثير من الفريقين ، وما رضينا بوقف القتال الا بعد ان أُصبت بجرح في ذراعي بليغ وقد افضى الخوف بالنساء الى الاشراف على الموت ، فرأيت من الخرق ان نقاتل عنهنَّ حتى نفنى فيؤخذن من بعدنا غنيمة باردة ، فلمّ رأينا على التسليم وهو اخفُ البلائين . فدخل مركبنا ستة من رجال العدوّ وتفرسوا في النساء . فلم يتصدّوا لهنَّ وشغلوا بالحديث اذ كان بعضنا يعصب جراح البعض ونتشاور في قتيلينا اللذين سقطا مشرّفين في دفاعها المجيد أين ندفنهما . في هذا الاثناء انقض رجلان منهم على الاميرة هيفاء انقضاض الصقر على الحمامة وقفزا بها الى سفينتهم القريبة فصرخت صرخة عظيمة وجرت السفينة مسرعة لمؤاتاة الريح وعاجلنا اللحاق بهم فقصدت لنا السفينة الاخرى وفيها عشرون رجلاً لم نجد فائدة باستئناف القتال معهم لان السفينة التي عليها الاميرة قد توارت فتوسلت اليهم وضرعتُ وقلتُ لهم فدية الاميرة كل من معي وكل ما معي فقالوا اياها نريد . وبعد تهديد واخذ وردّ اقتحمونا واحتلوا مركبنا بغير قتال رأفة منا بضعف النساء . فساقونا الى قرب مالطة حيث خلّوا سبيلنا ولم يسلبونا شيئاً . فاتيت الجزيرة ووقفتُ بحاكمها جوان مايسترو واخبرته بما كان من امرنا فطيّب نفسي وانزلنا في قصر وبالغ في اكرامنا وارسل سفناً ترود البحر تعقُّباً للقرصان فلم تقف على أثر . ثم ودّعناه شاكرين وفي قلوبنا احرّ من النار . وما زلنا نمخر في العباب حتى انتهينا الى هنا . كان الحاج كيوان يقصّ الحادث على الامير بصوتٍ خافتٍ وجملٍ متقطعة ونظرٍ مخفوض وقلبٍ كسيرٍ شأن الحزين الخجلان لا لما نابه من خسارة في هذه المعركة . فقد كان بطلاً مغوارًا خاض مئاتٍ من الوقائع المنيفة وجابه الموت مراتٍ كثيرة وشرى وباع رابحاً وخاسرًا فلا أبطره نصرٌ ولا اخشعهُ انكسار . الّا انه شقّ عليه ان تتالى النكبات على اميره المحبوب فلان حديد قلبه في نار هذا الاعتبار . وكان قلب فخر الدين يتفطر حزناً الا انه بالغ في كتم حزنه حفاظاً على هيبته وتخفيفاً من كرب

مدبّره. فوقع على عنقه وقبّله وقال: طِبْ نفساً يا ابي : بذلتَ وسعك وزيادة فما انت بِلوم. كلٌّ ما كُتب لامرئٍ فلاقيه.

ثمّ انه توجّه بحاشيته الى بيزا فاحسن الغراندوق لقاءه واكرم مثواه وانزله في قصر عظيم بديع الزينة نفيس الرياش توفرت فيه الخدم وسائر اسباب الراحة والرخاء. واوعز الى اعيان البلاد فاقبلوا يسلّمون عليه.

ولما انتهت ايام الوفادة للتسليم عليه اتته دعوةٌ من ملك نابولي فلبّى وصحبه الغراندوق فاحتفى به الملك ايَّ احتفاء وجعل اشراف ايطاليا يتسابقون الى دعوته ويقيمون الحفلات الشائقة لاكرامه. ويبالغون في اجلاله ويحملون انفس الهدايا اليه. وكان الجميع مُعجبين بذكائه وحكمته ووقاره وما أُفرغ عليه من كرم الأخلاق وجميل الخلال. وما عتم ان اتصل خبره بفيليب الثالث ملك اسبانيا ولويس الثالث عشر ملك فرنسا فاوفدا اليه يستقدمانه لزيارتها وقد عُرف انه اتى ايطاليا لغرضٍ سياسيّ. فاستعفى من زيارة الثاني لما بين ملوك فرنسا وبين السلاطين العثمانيين من صلات المودّة ممّا لا يؤمل معه نجاح التحالف عليهم. ووعد الاول بان يزوره بعد النجاز من توطئاتٍ لا بدَّ منها قبل زيارته[1].

---

١) لمّا ابحر الامير من ميناء صيدا لم يدرِ احمد باشا الحافظ بسفره. فسار بخمسين الفًا من عسكره ما عدا الرّماحة العرب الى جسر الخردلة قرب حصن ارنون، فعسكروا في تلك البقعة واستراحوا ليلة من تعب الطريق، ولمّا واجهوا الصباح زحفوا على الحصن وصدموه صدمات عنيفة واعادوا الكرّة عدّة ايام فامتنع عليهم. وكانوا كناطح صخرة يوماً ليوهنها. فنكصوا على اعقابهم خاسرين، وتحولوا الى برج الظاهرية الذي يقابله فاستولى عليه بخسارة كبيرة، ثم ارتدّوا الى حصن ارنون فحاصروه ستين يوماً وهم يمطرونه وابلًا من قنابل المدافع ورصاص البنادق ليلًا ونهاراً، استبسل من في القلعة وقاتلوا قتال الابطال، وكان لديهم مدفعٌ من اعظم المدافع في ذلك العصر قد نقلوه من صيدا فظلَّ يقذف على العدوّ ناراً وموتاً حتى انفجر، فأرسلَ المحاصرون كرد حيدر الى دير القمر يستنجدون الاميرَ يونس فمالح ان يُمدَّهم بنجدةٍ من السكان فامتنعوا الّا خمسين منهم مَشوا بقيادة جبلي حسين بلوكباشي غزير، وكان بعض سكان دير القمر يكاتبون الحافظ فاخبروهُ بالنجدة فكمن لها وقاتلتهُ مستبسلةً فنجت، ودخل القلعة اربعةٌ وثلاثون من رجالها. وارسل الحافظ يقول لمن في الحصن: هلّا يواجهني فخرُ الدين مؤمّناً فاقرّه على املاكه. قالوا انه ذهب الى بلاد الافرنج ونحن لا نسلّم وفي انوفنا نفسٌ. فارسل الحافظ الى الشوف يجمع منه عساكر ويضيّق على اهله ويرهقهم بالخسائر. وتوجه بعض الصفديين الى غريفة ليحرقوها

١٢

بعثة الى لبنان

كانت تركيا في ذلك العهد دولة قوية مرهوبة البأس ينظر اليها ملوك اوربّة بعين الحذر ، ولا يتمنون لها الّا خضد الشوكة وقلوص السلطة ، ويسعون الى هذا الغرض بوجوه مختلفة كالتحريش والمعاونة على تقطيع اطرافها وايقاد نار الثورة في اقاليمها ، وكان البابوات غير راضين عن سياستها في رعاياها لاغفالها امر المسيحيين وتركهم اهدافاً لاهواء عمالها الظالمين واعتداء مواطنيهم غير المسيحيين ولا سيما في الشرق . رأى الامير ان ذلك من المسهلات الى محالفة تضمن له الظفر على الدولة وجعل لبنان امارة مستقلة عنها يتولاها هو وذريته مع ما بنفسه من الطموح الى الولايات السورية فالى العاصمة التركية نفسها .

فلم يطل به المقام عند دوق توسكانا حتى اوقفه على غرضه فالقى عنده اذناً واعية غير انه اذ لم يكن مستوثقاً من التفاف اللبنانين على اختلاف نحلهم حول الامير ولا عالماً اية قوة تشد ازره في لبنان خشي ان يعقد معه محالفة تنتهي بالفشل تجاه قوات تركيا الهائلة . ففاوضه في ارسال بعثة الى لبنان تدرس الحال فان كانت على ما يزعم حالفه هو وغيره والا اشار عليه بالاقامة عنده الى ان تتغير الحال ، فاجابه الامير الى ذلك .

فتصدّى لهم الشوفيون فارتدّوا عنها مشتتين . واستحوذ الملل على المحاصرين فاشاروا على الامير يونس ان يرسل والدته المسنّة الست نسب الملقبة بالست الكبيرة الى الحافظ لتتوسط . فوافته بثلاثين من شيوخ العقل الدروز ومعها ذهب واربعة جياد ، فاكرم مثواها . فقالت لماذا تقاتلنا الدولة ونحن ما خرجنا عنها ولا فتحنا بلداً لم نغزنا عليه ولا قصّرنا في تأدية مال مفروض . ونفحته مئة الف قرش للسلطان وخمسين الف قرش له وكتبت له صكاً ببقية ثلاثمئة الف قرش تنقده اياها في ما بعد على شريطة ان لا ينكل بالشوف وان يرفع الحصار عن القلاع ويقف الحرب . فرضي واسترضته نفسها بالمال وباذعان المعنيين له فقبلت ، ولمّا رأى الامير يونس خيانة سكبانه وتخلّف حنفاته استحوذ عليه اليأس فخلّى دير القمر منتقلا الى بعقلين ثم الى نيحا . وانضم السكبان الى الحافظ ، فخلا الجو لآل سيفا ، فدخل حسين باشا سيفا الدير واحرق بيوتاً ولولا مصطفى اغا الاسود رئيس حجاب الحافظ لاحرق دار المعنيين (قال بعضهم انه احرقها وهذا اصح) ثم فرقت العساكر ، وعاد الامير يونس ورجاله الى دير القمر وارتحل الحافظ بالست نسب رهينته ، وصادر الشهابيين والخرفوشيين .

اما الامير علي بن فخر الدين فكان ابوه قد ارسله الى البرية مع الامير حمدان والشيخ

وبعد شهرين كان مركب طلياني يقل البعثة الى لبنان مؤلفة من عدد من الضباط والمهندسين الفلورنتيين ومن ذوي الخبرة بالحروب . وارسل الامير معهم اثنين من رجاله ابن العيسوق ومحمداً بن علي كاوور وهما من اتباعه ومن اهل الحكمة والوفاء . حملهم رسائل الى اخيه يونس وذوي قرباه واعيان البلاد يطلعهم بها على ما لقيه في ايطاليا وعلى غرض البعثة ويوصيهم بان يمكنوها من اغراضها على ما تشاء. وان يحفظوا ما بايديهم من الحصون ويفتحوا عين اليقظة ويحكموا التوائق بينهم والاتحاد .

نزلت البعثة الى ارض لبنان في قرب صيدا من الجنوب ، وتوجه رجالها الى دير القمر فتلقاهم الامير يونس وامه الست نسب بمنتهى الاكرام والاجلال وقرأ يونس رسائل اخيه التي اليه وللاعيان ، ثم ختم الرسائل وارسلها الى اصحابها واتته الاجوبة من الجميع فاوقف عليها رجال البعثة وكلها ناطقة باخلاص اهل البلاد للامير مع الانباء بتفصيل كل ما هنالك من تأهب معنوي ومادي ، ولم يخرج عن ذلك الا جواب ابن سيفا قال فيه انه لا يقدر على موالاة فخر الدين ما دام سخط الدولة مصوباً اليه ، فطابت انفس اعضاء البعثة بما علموه من اتحاد كلمة اللبنانيين وجالوا في اقاليم لبنان بحثاً عما فيه من ثروات وحصول مال ووسائل دفاع ، ودونوا خلاصة ما عاينوه وسمعوه وتأهبوا للعود الى ايطاليا ، فالقى الامير يونس الاجوبة الى رسولي اخيه فسافرا مع البعثة وصحبهم الشيخ خاطر ابو نادر الخازني في نفر من ذويه ويزبك ابن العفيف احد اعيان الشوف .

فلما واجهوا الامير فخر الدين ودوق توسكانا واطلع هذان على ما حملوه من اجوبة وانباء عظم رجاء الامير وحصلت له ثقة الدوق اذ علم ان في لبنان

عمرو وعربه على ما رأيت ، فنزلوا على قرية صخرة عجلون ينتظرون قدوم فخر الدين ، فلما علموا أن عسكر الشام اخذوا عليه الطريق جعلوا يتنقلون في تلك الضواحي ، وحدثت مواقع بينهم وبين بعض السردية وغيرهم ، وكانت موقعة ضارية بينهم وبين الامير فياض امير اهل حيار ، وكان النصر في جميع هذه المواقع لعمرو وعلي ، وما زال عمرو يتقدم مقاتلاً كل من تصدى له حتى اوصل علياً الى بانياس سالماً ، فاستقبله حسين اليازجي والسكبان واخبروه بارتحال ابيه . ثم وصل مصطفى كتخدا فخر الدين من الاستانة وقد سُرح على يد خليل باشا الربان فاخبر الامير علياً بما جرى له في الاستانة ، فاغتم وكتب وبات يتوقع خبر وصول ابيه الى بلاد الافرنج (الخالدي ومجلة الآثار بتصرف) .

قوة واتحادًا فحالفه وجعل يسعى معه لمحالفة البابا وملك اسبانيا .

ثم ان فخر الدين جهز مالاً كثيرًا وهدايا نفيسة وارسلها الى لبنان مع الشيخ يزبك بن العنيف تمكيناً لصداقة الاعيان وتلافياً لما قد يفاجئ من طوارئ الحدثان . فاستعان الامير يونس بذلك المال على اتمام التأهب والتحصين ووزع الهدايا على الزعماء. فبهرت عيونهم وزادتهم تعلقاً بالامير وتأهباً لبذل الحياة تحت رايته في سبيل المصلحة الوطنية والذود عن الاستقلال .

(لها صلة)

اخبار العالم

اخبار دينية

المؤتمر الاوخارستي في ريو دي جانيرو : وجه رئيس جمهورية البرازيل الى المجلس الوطني رسالة يطلب فيها اليه ان يخصص مبلغ اربعة عشر مليون كبروسيروس للنفقات الضرورية للقيام باعداد المؤتمر القرباني الدولي السادس والثلاثين الذي سيحتفل به العالم الكاثوليكي في العاصمة البرازيلية في حزيران من سنة ١٩٥٦

لا يخفى ان البرازيل هي اليوم ام الدول الكاثوليكية

حكم الديانة المسيحية في ستالين : ليس مسيحي الا وينبذ المبادىء الشيوعية لموقفها العدائي وعملها الهدام ازاء كل دين وكل تعليم موحى . ليس مسيحي الا ويحكم حكماً صارماً على الفلسفة التاريخية التي مشى عليها ستالين للتوصل الى دك الاسس المسيحية التي عليها كان مبنياً كيان المجتمع الانساني في روسيا والبلاد المجاورة لها التي اخضعها بالقوة للشيوعية وفرض عليها سلطته فرضاً . فقد اعتمد فيما تذرع به لبلوغ غايته على مبادئ واتخذ وسائل لا يقبل بها لا الدين ولا العقل السليم وتنكرها المروءة والانصاف معاً كانت المنافع المادية المموهة المتوخاة . يكفينا ان نذكر هنا : مراكز الاعمال الاجبارية التأديبية حيث مئات الالوف يئنون تحت اثقال العناء وسوء المعاملة حيث نُفي للاعمال الشاقة الاف من الاسرى لا يزالون الى اليوم مُبعدين ظلماً عن اوطانهم . ومن لا يذكر ايضاً « التطهيرات » الدامية ومآسي الدعاوى التي هي اشبه بمشاهد تمثيلية فاجعة . كذلك الشبكة الجاسوسية التي توقع في حبائلها ذوي الافكار الحرة والارواح المستقلة ولا مناص لمن رمى نفسه فيها . . . بنى ستالين على انقاض المجتمع الانساني المسيحي بناء المادية الكلية بناء على انكار الله والعبث بحرية الفرد .

لا يقدر المسيحي ان لا يُطالب للديانة التي يجاهر ويفتخر بانتمائه اليها بحرية الحياة والنمو والانتشار والعمل لخير البشرية والتمدن الحقيقي .

يموت ستالين مات فيلسوف الشيوعية اللادينية ومفكرها الاعظم بعد ان فرض بشدة لا يقوم امامها قوة عقائده واوامره : بموته مات ممثل عراك المادة والروح : آلهة الارض نفسها تموت .

تعداد المسيحيين في مصر والسودان : يفوق عدد الاغلبية الاسلامية في مصر سبعة عشر مليوناً . ويبلغ عدد المسيحيين مليونين وثلاثمئة وسبعة عشر الفاً ومئة : منهم مليونان من القبط الارثوذكس وتسعون الفاً من البروتستانت والباقون كاثوليكيون وهذه قائمة عددهم حسب طوائفهم المختلفة :

— الارمن ٧٠٠٠ — الكلدان ١٦٠٠ — القبط ٦٣٠٠٠ — الروم الملكيون ٢٥٠٠٠ — اللاتين ١١٦٠٠٠ — الموارنة ١١٠٠٠ — السريان ٣٥٠٠

ه

اخبار عالمية

الاتحاد السوفياتي : توفي الجنرال ستالين يوم الخميس ٥ اذار نحو الساعة العاشرة مساء لكن راديو موسكو لم يُذع خبر وفاته الا يوم الجمعة ٦ اذار الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

مات ستالين كما يموت كل انسان بعد ان عبدته البشرية في حياته عبادتها لإله . وقد عُين جورجي مالنكوف خلفاً له في رئاسة الحكومة السوفياتية . ومالنكوف اورالي الاصل عمره احدى وخمسون سنة . وكان قبل موت ستالين رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي لكنه لم يلبث الا اياماً قليلة بعد تسلمه الحكم حتى تخلى عن منصبه في الحزب الشيوعي

— عُني مالنكوف حالاً بعد تسلمه ازمة حكم بلاده بإحداث شيء من الطمأنينة والثقة في العلائق الدولية خصوصاً مع الولايات المتحدة مما حمل الناس على التساؤل عن اسباب هذا الموقف الجديد من الحكومة السوفياتية: أتكون هذه السياسة دليلاً صادقاً عن رغبة اعادة السلم بين الدول ام هي وليدة ضرورة وقتية وعلامة وجود مشاكل وصعوبات داخلية اضطرت الى طلب مهلة من الاطمئنان والسكينة الى ان تعود المياه الى مجاريها في البلاد .

ان خلافة ستالين في رئاسة روسيا السوفياتية والحزب الشيوعي امر عصيب وقد تكون سبباً لمشاغبات داخلية ومشادات عنيفة بين المدّعين بها الذين خذلهم الحظ فقد زعم بعض المخبرين انه قد حدث مناورات شخصية هناك واتفاق خصوصي بين بيريا ومولوتوف لاسقاط مالنكوف او على الاقل للحدّ من سلطته في رئاسة حكومته

اما الغرب فقد اكتفى الى الان بالانتظار مترّيثاً متحذراً لا يستند الى الاقوال يطالب بالاعمال ويجاهر بعدم اطمئنانه طالما لا تثبت حكومة موسكو الجديدة حسن نواياها وصدق تصريحاتها بالاعمال .

تشيكوسلوفاكيا: عشرة ايام فقط بعد موت ستالين مات كليان غوتولد رئيس الجمهورية التشكوسلوفاكية وكان قد حضر حفلة دفن مولاه ستالين وهو بصحة تامة . تحدثت بعض الجرائد عما يكون سبب موته المفاجيء . اعلن راديو براغ خبر وفاته بعد ظهر سبت الرابع عشر من اذار . وقيل انه مات من نفس المرض الذي اودى بحياة ستالين .

ان غوتولد هو الرئيس الثالث للدولة التشيكوسلوفاكية منذ ان وضع مزاريك اسسها سنة ١٩١٨ بعد الحرب الكبرى الاولى . مات بينما كانت لوندرة تحتفي بزيارة تيتو لحكومتها وتستقبله استقبالاً شائقاً وهو ايضاً من رفاق غوتوالد وتلاميذ ستالين . في هذه المناسبة لا بد من ان نلاحظ بان الحكومة اليوغسلافية التي تحررت من النير السوفياتي لا تزال متمسكة تمسكاً شديداً بالمادية اللادينية تضطهد الكنيسة اضطهاداً عنيفاً .

مصر : يظهر جلياً بان ثقة الشعب المصري بحكومة اللواء نجيب العسكرية لا تزال تنمو يوماً بعد يوم وليس هناك من يشك من روحه الوطنية ونزاهته وبهذا يقرّ له الاجنبي نفسه.

اعتبرت مصر الاتفاق الذي عقده اللواء نجيب مع الحكومة الانكليزية بخصوص السودان نجاحاً باهرًا له وانتصارًا اول لها فان هذا الاتفاق قد حل مشكلة مزمنة معقدة لم تتوصل الحكومات السالفة الى ايجاد حل لها . وجاء هذا الاتفاق نتيجة جهود اللواء في توحيد الاحزاب السودانية الاربعة في مطاليبها وكانت قبل ذلك منقسمة على بعضها . نعم ان الحل هذا ليس نهائياً فانه وقتي : لثلاث سنوات يتعود فيها الشعب السوداني على الحكم الذاتي ثم يُدعى بعدها الى الاستفتاء لاختيار الحكم الذي يفضله اعني الاستقلال التام او الانضمام الى مصر

اما مشكلة جلاء الانكليز عن قناة السويس فلم يُبتّ فيها بعد. كان إمكان التوصل الى حلها يظهر الى الامس القريب امرًا عصياً صعب المنال لِما بدر من المسؤولين في مصر من التمسك بمطاليبهم والتعبير عنها بلهجة لا تترك لمفاوضات اتفاق تاني مجالاً فقد اعلنوا امام الملأ وبعبارات شديدة بانهم يريدون ما يريدونه دون التقيد باي شرط كان . لكن قد عقب ذلك هذه الايام الاخيرة تصريحات مصرية جديدة لطفت الموقف وفتحت ابواباً للتفاهم والتفاوض واعادت الثقة المتبادلة فاجابت عليها الحكومة الانكليزية بقبول الدخول حالاً في محادثات تمهيدية تتبعها المفاوضات الرسمية . وقد يكون الاتفاق بين الحكومتين قد تم مبدئياً فيما يخص جوهر المسألة فلم يبقَ بعد الا البحث عن كيفية اتمامه بما يرضي الطرفين .

ايران : قامت بين مصادق والشاه ولا تزال قائمة مشادة عنيفة انقسمت لها البلاد شطرين لكل من المتحمسين حزبه مما ادى الى حوادث دامية في تظاهرات عديدة صاخبة .

يريد مصادق ان ينقص من سلطة الشاه الدستورية فيُضحي ملكاً يملك ولا يحكم. ويعاضده في ذلك الجبهة الوطنية وطبقة الشعب الوسطى والموظفون والاوساط الجامعية

اما الشاه فيستند هو ايضاً الى حزب قوي يتألف من حاشيته ومن العسكريين والملاكين والوطنيين التقليديين الذين لا يرضون بهدم البناء الماضي وبالمس بتقاليد البلاد .

ويظهر المجلس بين الحزبين منقسماً على نفسه متخوفاً وفيه من المجاهرين بمعارضة سياسة مصادق ثمانية نواب كما ان غيرهم يتبعون مصادق بثبات والباقون يترددون في امرهم يميلون حيث تميل القوة . . وقد حاول مصادق مرارًا ان يحمل المجلس ليفرض عليه قبول القانون الذي اعده لتحديد سلطة الشاه لكنه لم يفلح لان تغيب النواب الثمانية المعارضين آل كل مرة الى عدم توصل المجتمعين الى النصاب الشرعي لتقرير القانون الجديد

اما حزب توده التي يمثل الفكرة الشيوعية في ايران فانه واقف بالمرصاد يريد الاستفادة من هذه الحوادث يعمل في اذكاء نار الاحقاد بين الحزبين الاخرين ويدفعهما الى الفوضى والتظاهرات بحيث يثبت وجوده وقوته فيزيد نفوذه في الشعب .

المعاهدة البلقانية : في ٢٣ اذار وافق المجلس الوطني في بلغراد وانكرة واثينا دون جدال على معاهدة الصداقة التي كان قد سبق التوقيع عليها في انكرة في الايام الاخيرة

من شباط . وبهذه المناسبة اعلن الجنرال كربيك في المجلس البوغسلافي ان القوى الدفاعية في البلاد الثلاثة المتعاقدة تتراوح بين ستين وسبعين فريقاً وهي مجهزة بافضل جهاز حربي . تبقى مشكلة تريستا عقبة جوهرياً لدخول ايطاليا في هذه المعاهدة .

اسرائيل : بلغ عدد المهاجرين الى اسرائيل في مدة سنة ١٩٥٢ ثلاثة وعشرين الفاً وثلاثمئة وسبعين . فصار مجموع عدد مهاجرين من تأسيس اسرائيل (ايار ١٩٤٨) سبعمئة وسبعة الاف وخمسمئة واربعين شخصاً فيهم بضعة الاف من المسيحيين ادّعوا بانهم يهود ليمكنهم الهرب من البلاد الشيوعية .

عدد سكان الارض : بموجب احصاء منظمة الصحة العالمية قد بلغ عدد سكان الارض سنة ١٩٤٩ مليارين وثلاثمئة وتسعة وتسعين مليوناً وكان عددهم عشر سنين قبل هذا التاريخ اي سنة ١٩٣٩ نحو مليارين فقط فتكون الزيادة في عشر سنين اربعمئة مليون

اكثر من نصف سكان الارض هم في اسيا اي مليار ومئتان وثلاثة وخمسون مليوناً منهم في الصين اربعمئة وثلاثة وستون مليوناً وفي الهند ثلاثمئة وسبعة وخمسون مليوناً .

الحركة الفكرية في العراق: التاريخ وما اليه

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

في الصفحة الوجيزة التي خصّ بها بروكلمان تاريخ الادب العربي العصري في العراق (الملحق٣ ص٤٨٠) قال ان المنتوجات الفكرية فيها لم تبلغ المستوى التي بلغت اليه في سورية ولبنان بالرغم عن تمتعها بالبيئة الصالحة للانتاج في ظل الاستقلال والسيادة وتصدى لشكوى بعضهم لعدم وجود فهارس رسمية للمطبوعات العراقية ولقلة المطابع العربية في تلك البلاد واذ يغار على استقصاء اسماء الكتب ما استطاع السبيل اليها بنظرات عامة الجئ الى الاقتضاب في الكلام عن هذه الناحية[1].

وان طائفة من المطبوعات العراقية الحديثة اهديت الى « المشرق » فرأينا ان نصفها في مقال واحد يربط بين مواضيعها ويمهد السبيل الى الاطلاع على حركة التأليف والتفكير في القطر الشقيق مع الاعراب عن امنيتنا بترقي فن الطباعة فيه لان بعض الكتب التي جاءتنا تحتاج الى الكثير من العناية لتظهر بالحلة الجميلة اللائقة بالمؤلفين ومؤلفاتهم فلا تشوبها الاغلاط ولا تنكشف تصاويرها في ظهورها على ورق خسيس الثمن خشن حقير .

تلك المطبوعات عددها ١٨ ومواضيعها في التاريخ وما اليه فضلاً عن كتاب في الشعر الزجلي ولها محلها في الادب العصري وقد نبتت في تربة صالحة للتفكير والتأليف والنشر في الظروف الطارئة على البلاد في تدرجها من العهد العثماني فالانتداب الانكليزي الى الاستقلال المطلق وقد اشرقت عليها شمس الحرية فيكشف الكتبة عن الوثائق والآثار فيبعثونها للنور ولا خشية عليهم من بطش الحكام فيعربون عن افكارهم بجرأة وانصاف للحقيقة فتسوغ مطالعة ما

(1) Brockelmann : *Geschichte der Arabischen Litteratur.* Supplement band III. 480.

يكتبون وتزودي مادة وافرة للنقد وللبنيان في عـالم الفكر والترقي والعمران وقد وصفناها اخذاً باوليات العصور الى يومنا .

وادي الرافدين مهد الحضارة

دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ

طبع بدار الكتاب العربي بمصر، ص٨٨ قطع ٨ كبير ورق صقيل (٢٠٠ فلس) للسر ليونارد ودلي

تعريب احمد عبد الباقي

بين سنة ١٩٢٩ و١٩٣٢ تشكلت بعثة اثرية مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانية للتنقيب في اطلال « اور » المدينة السومرية في جنوب العراق ترأسها السر ودلي وكان من اعضائها الاب بروس Barrows اليسوعي فكشفت على معلومات ثمينة عن حياة سكان وادي الرافدين الاسفل (سهل شنعار) ووضع عليها ودلي هذه الرسالة واقبل على تعريبها مميز التفتيش بوزارة المعارف السيد احمد عبد الباقي لما رأى فيها من الفوائد لتعريف قراء العربية بتكوين وادي الرافدين وسكانه القدماء باستقراء آثارها ومنها مـا يعود الى الالف الثالث قبل المسيح فتشهد لحضارة تلك البلاد وتثبت اوضاعاً لا ريب في صحتها عن حياتها المدنية والدينية فتذكر حكومات المدن والكتابة الصورية والخط المسماري والمراسيم الدينية وطقوس دفن الموتى منها .« كان يصحب جثة الملك السومري في تلك الايام الى قبره جميع افراد حاشيته من الزوجات والضباط والجنود والخدم والموسيقيين وينزلون في الحفرة التي اعدت لتكون قبر الملك . ثم يتناولون جرعة من السم بعد مراسيم معينة فيموتون ويوارون التراب» (ص٢٤ و٢٥) . وهناك وصف لحياة سكان البلاد اشبه منها بحيـاة سكان وادي الرافدين حالاً في طراز البيوت والادوات البيتية واللباس — ولم تكن الزوجة تعتبر متاعاً بيتياً وكان الاساس في الزواج الاقتصار على زوجة واحدة (ص٨٣) وتعتبر الزوجة سيدة بيتها .

وفي بدء الكتاب مقدمة للدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار القديمة العام ايد فيها كلام ودلي « ان التقدم في الناحية الروحية في تلك البـلاد كان على ايدي غرباء عنها هم الساميون الذين تمت على ايديهم القوانين وظهر بينهم الانبياء».

وفي هذه المناسبة نذكر براهيم ابا الشعب العبراني والعربي الذي قيل عنه في سفر التكوين (١٥، ٧) انه خرج من « اور الكلدانيين ».

مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ.

بتقديم العلامة محمد رضا الشبيبي وزير معارف العراق الخ.

القسم الاول وهو المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٧ ، ٣١ ص ٢١٤ قطع ٤ – طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة الكرخ – بغداد – ١٣٦٧ ه ١٩٤٨ م ثمنه ٧٥٠ فلساً

تأليف يعقوب سركيس

هو كتاب تاريخ وخطط وآثار وبحث في العمران وضعه المؤلف مستخرجاً مواده من كتب الرواد الافرنج واخبار رحلاتهم الى العراق ومن مجموعة الكتب التي اقتناها والوثائق المخطوطة القديمة والحديثة التي اكتشفها وقد علّق عليها الفوائد وعمل فيها رويته الشخصية فجاءت لذيذة مفيدة مسهّلاً مطالعتها بالفهارس الواسعة التي ذيل بها كتابه فاستحق الثناء.

خزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

طبعة المعارف – بغداد ١٣٦٧ ه ١٩٤٨ م قطع ٨ ص ٣٤٦ ثمنه ٥٠٠ فلس

تأليف كوركيس عوّاد

من فهارس الكتاب الوافرة المواد في اعلام الناس والاقوام والملل والامكنة ومن لائحة المراجع العربية والافرنجية يقدر القارئ جهود المؤلف في جمع ما جمعه على خزائن الكتب ويهتدي القارئ بتلك الفهارس الى تحصيل اللآلئ الغائصة في هذا البحر الواسع وفيه ما يفيد المثقفين عامّة وامناء المكاتب خاصة. مهّد صاحبه الى بحثه في كلام طريف عن الوراقة والوراقين وعن النسخ وبيع ادوات الكتابة وتجليد الكتب وشرائها ووقفها واتلافها بالحريق او الغريق او الدفن وعن غسل الكتابة والكتب وراعى في سياقة اخبار الخزائن التسلسل الزمني أخذاً بالاقدم فالاقدم. واذ نشكر له سعيه نلفت النظر الى ما كتبه عن الديورة ومكاتبها وما لها من الفضل بنشر العلوم في البلاد العربية عامة والعراقية خاصة.

اقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

تأليف هلال الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨هـ ١٠٥٦م.

مطبعة المعارف – بغداد ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ثمنه ٢٠٠ فلس

جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد

ان في عنوان الكتاب غنىً عن وصفه وقد وفق ناشره الى الحصول على قطع ضائعة منه في خزانة « غوطا » فعني بها ونشرها مع تعليقات وشروح عديدة وفهارس واسعة تستغرق ما يقارب خمس الكتاب وفيه ترجمة « الصابي » الذي اسلم « وحسن اسلامه » بعد ان ظهر له النبي مراراً بالرؤيا . وعُرضت لائحة مؤلفات الصابئ عسى ان تساعد عشاق الآثار العربية في التنقيب على ما بقي منها مدفوناً في مخابئها فيبرزونها للنور .

نثني على همّة السيد ميخائيل عواد ونتمنى لكل اديب في بلاد العراق ان يجاريه في البحث والنشر والتأليف وبتضافر هذه الجهود المحمودة يبلغ السكان الى مستوى الثقافة العالية التي يطمح اليها عهد الاستقلال التام .

المآصر في بلاد الروم والاسلام

مطبعة المعارف – بغداد ١٩٤٨ ص٩٢ قطع ٨ ثمنه ٢٠٠ فلس

تأليف ميخائيل عواد

هذا الكتاب يجمع مقالات ظهرت في مجلة المقتطف واعاد المؤلف طبعها وفيها البحث عن تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الادنى وشمالي افريقية وما الى ذلك من الفوائد عن العشور وعن تجهيز الاسطول للقتال. مضى صاحبه بتأليفه مستقتياً معنى المآصر في كتب اللغة والتاريخ والسياسة. وكانت المآصر او الموانئ النهرية والبحرية وفيها سلسلة ضخمة من الحديد تعترض المينا، وتحول دون سير السفن ما لم يفتح لها صاحب القفل بفكه السلاسل . وقلما كُتب في هذا الموضوع فنهنئ المؤلف على اتحافنا به وهو شاهد على اخلاص نصارى العراق الى وطنهم واعتزازهم بعزّه.

عشائر العراق الكردية

ص ٢٧٢ قطع ٤ — مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م ثمنه ٥٠٠ فلس

بقلم المحامي عباس العزاوي

هذا الكتاب يبحث في اصل العشائر الكردية وتفرعاتها ومواطن سكناها وما يتعلق بسائر احوالها التاريخية والحاضرة مع فهارس وخارطة ، خاض غماره المؤلف متكلماً عن الاسرة والقبيلة وعن الزعامة عند الاكراد ، مقابلاً بينهم وبين الاعراب فقال ان العشائر الكردية هي في الغالب من اهل الارياف ولم يبقَ منها على البداوة الا القليل وهؤلاء في الحقيقة اقرب الى الحضارة (ص ٦) وقال (ص ١٨) « ان العنصر (الكردي) منذ دخل الاسلام... نال نصيباً وافراً من الحضارة ... الامر الذي دعا ان يكون من اهم اركان نهضته... وعلماؤه وادباؤه ومؤرخوه ورجال سياسته ومدنه وصناعته شاهد محسوس لما ناله من المنزلة السامية » على ان وفاء الموضوع حقه من الدرس يتطلب جهود الكثيرين وحسبنا مراجعة مادة « كرد » في الموسوعة الاسلامية لترى عشرات الاسماء من العلماء الذين اشتغلوا في بحث تاريخ الاكراد واصلهم وفصلهم ودياناتهم وآدابهم فما ان يقرب منالها بالترجمة المصرية (التي لم تتجاوز الى يومنا حرف الدال على ما اظن) حتى ينشط الكتبة للتعاون في العمل الذي فتح السبيل اليه المحامي عباس العزاوي رئيس لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية

كتاب النبراس في تاريخ بني العباس

ص ٣٠٢ قطع ١٢ كبير — مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

تأليف ابن دحية — صححه وعلق عليه المحامي عباس العزاوي

ابن دحية الكلبي ولد في الاندلس ٥٤٤هـ ١١٥٠م وتوفي في القاهرة ٦٣٣هـ ١٢٣٥م ، سافر الى برّ العدوة ودخل مراكش ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية وبلاد الشام والعراق وخراسان وكان عالماً بالتاريخ والحديث والنحو لكنه « كان كثير الوقيعة في الائمة » فانقسموا عليه بعضهم بالاستحسان وبعضهم بالاستهجان كالكندي الذي الف ضده كتاب « نتف اللحية من ابن دحية ». ولعل التحامل ناجم من انه ظاهري فخاف القوم على مكانتهم المذهبية

فتعصبوا عليه (صي) والظاهرية يقولون باستخراج الشرائع من القرآن والسنة بالحرف لا بالقياس .

نشر هذا الكتاب المحامي عباس العزاوي مقدماً عليه بدرس ترجم فيه لابن دحية ومؤلفاته ووصف هذا التاريخ عن اصوله ومراجعه وذيله بالفهارس وحشاه بالتعليقات المفيدة وقد وددنا لو أبرز بحلة مطبعية أليق من التي ظهر بها لان الاحرف المستعملة فيها قديمة مشوهة واليد العاملة لم تراع حرمة المتن المراعاة المطلوبة فتقع الياء موضع الباء والجيم موضع الحاء .

وموضوع الكتاب بيّن من عنوانه يشمل ايام بني العباس من عهد السفاح الى عهد المستعصم ولعل شخصية المأمون تظهر فيه بأجلى المظاهر دون سائر الخلفاء . ومن نوادر اخباره ان ملك الهند ارسل اليه الهدايا ومنها « فراش من جلد حيّة ... لا يتخوف من جلس عليه السلّ وان كان به سلّ وجلس عليه سبعة ايام برئ ... » (ص٥٢) . اما المتوكل ومعاملته المشينة بحق اهل الذمة فيذكرها ابن دحية ويزيد عليها ويقول انظر الى شرف هذا الخليفة واخذه بالسنة (ص ٨١) فيدفع عنه بشدة تمسكه بالسنة التهمة التي اتهمه بها خصومه بالخروج عن السنة .

تاريخ البرامكة

ص ١٦٦ قطع ١٢ كبير — مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٤٨ م ١٣٦٧ هـ

تأليف عبدالله فياض

هي رسالة قدمها صاحبها لنيل شهادة المأذونية في الاجتماعيات من دار المعلمين العالية ببغداد وقد ألفها تحت اشراف الدكتور عبدالعزيز الدوري استاذ التاريخ الاسلامي الذي بيّن للقراء في صفحات الكتاب الاولى اغراضه مثنياً على « تلميذه » لما تكبده من اتعاب في التأليف وفي مراجعة المصادر العديدة من تصانيف عربية واوروبية . وان اخبار البرامكة معروفة فسعادتهم وشقاؤهم يضرب بهما المثل . فاقبل السيد عبد الله فياض يستقصي اسبابها ويستفتي بها الكثيرين ممن حاولوا التحقيق في امرها من الاقدمين الى المحدثين . ولعلّ السبب

« النفساني » لنكبتهم انما هو طمع الخليفة هارون الرشيد الذي ارتاح على البرامكة من هموم الدولة وانصرف الى ما يأتيه عنها الى ان استفاق من غفلته وبطش بهم متسرعاً خشية ان يطغي نفوذهم عليه . وذلك لم يكن نادراً في بلاط السلاطين اذ يرى الوزير نفسه في ذروة النجاح وما ان تدسّ الدسائس الا ويسقط ويهلك بين ليلة وضحاها . ومن امثال ذلك اخبار احشوروش ملك فارس الذي شنق وزيره هامان (سفر استير ٧ : ١٠).

رحلة المنشئ البغدادي ... محمد الحسيني

طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة – بغداد – ١٣٦٨هـ ١٩٤٨ م الثمن ٢٠٠ فلس

نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي

ان اخبار هذه الرحلة كتبها مؤلفها باللغة الايرانية سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م في حوال الكرد والعراق وما فيها من قبائل في شهرزور وسنة وسقز وكركوك وآلتون كوبري واربل وخاصة في ذكر بغداد وقراها ونواحيها ومنازلها الى كرمنشاهان والسليمانية وكردستان وكان قد قضى ببغداد عدة سنين كاتباً في دار المقيم البريطاني كلاديوس جمس رج Rich فرافقه في اسفاره الى البلاد المذكورة ودوّن ما دونه من الاخبار تحت اشرافه في صفحات وجيزة نشرها المحامي عباس العزاوي معلقاً عليها الفوائد والتعليات وذيّلها بفهارس كاملة زادت بمنافعها وفيها الفقر لمعرفة احوال الالوية ودرجة طاعتها لوالي بغداد داود باشا وسياسة الانكليز فيها واذ جاءت « موافقة لمراد الاجنبي » (ص ١٠١) فلا اقل من ان تبرز نوراً ينعكس على المواد التي يعالجها المؤرخون في تعليليهم حركة التطور السياسي الذي ادّى بالعراق من العهد العثماني الى عهد الانتداب البريطاني فالاستقلال المطلق .

زار المنشي البغدادي فيما زاره من الامكنة دير الرهبان هرمز بالقرب من الموصل فقال (ص ٨٥) : دير هرمز بني في جبل والطريق اليه صعب المرور حجري فيه تعاريج ومنحنيات يمتد نحو ميلين في وعورته . وان الدير كبير جداً وكله من صخر منحوت ورهبان هرمز في وسط هذا الدير . وان النصارى في تلك

الانحاء يعتقدون فيه اعتقاداً كبيراً وفي كل سنة يأتون اليه من الولايات. وفوق الدير في سفح الجبل ٤٩ غاراً . وان مطراناً واحداً وخمسين راهباً يقيمون دائماً في هذه الكهوف وهم من الاخيار الابرار جداً كل واحد منهم يأتي من بلد وقد تركوا الدنيا ولهم واحدة وخمسون بقرة . وزبدة هذه البقرات تقدم للواردين وهم لا يأكلون اللحوم.

آل فرعون

الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها
مزوداً بالوثائق وموضحاً بالخرائط والصور

الجزء الاول ص٦٧٤ قطع ٨ كبير ، مطبعة النجاح – بغداد

تأليف فريق المزهر

«كنت مع الثورة من ابتدائها الى انتهائها . . . مع رجال الدين ومع زعماء العشائر ومع جموع الثائرين » بهذين السطرين يتقدم المؤلف للقراء. وبهما نتعرف اليه وصورته مع صور ملوك العراق وامرائها العظام تتصدر الكتاب وتعرب بملامحها العربية عن النار الملتهبة في صدر الرجل فتدفعه الى الكتابة عن حماسة تذكرنا بشعراء الجاهلية اذا ما ذكروا ايامهم وفاخروا بأعمالهم وهجوا اعداءهم . وهذا النفس الطويل يجتاح المؤلف من بدئه الى نهايته اجتياح الرياح للصحراء الشاسعة . واننا لنقف في هذا التيار ونجمع افكارنا لنأتي بخلاصة الكلام عن اهم « الحقائق » المدونة للتأريخ .

ان بلاد العراق في غربي آسية على مجاري نهري دجلة والفرات . مساحتها بحدودها الحالية ٤٥٢٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها يقدرون اليوم ٤٩٩٠٠٠٠ لقد وقعت تحت حكم الاتراك سنة ١٥٣٤ ، ولم تكن سيادتهم عليها مطلقة لبعد السلطة المركزية عنها ولنزعة السواد الاعظم من سكانها العرب الغير المتحضرين الذين يأبون الطاعة لحكومات منظمة . وفي القرن التاسع عشر ميلادي ترادفت حملات باشاوات الاتراك الى العراق وقد ذكرهم صاحب الكتاب (ص٢٧) : حرب نجيب باشا في كربلا. سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م وحرب

سليم باشا في النجف ١٢٦٨هـ ١٨٥١م وحرب مدحت باشا في الدغارة ١٢٨٤هـ ١٨٦٧م وحرب شبلي باشا في الشامية وابي صخير ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م وحرب يوسف باشا في العراق ١٢٩٦هـ ١٨٧٨م وغير ذلك من الوقائع العديدة الدالة على ان سلطة بني عثمان لم تستقر بالعراق واهاليها في البادية لا يرضون عن استقلالهم بديلاً.

وفي طليعة الثائرين على الاتراك عشائر آل فتله وكان زعيمها فهيد آل نذير وقد « اخذ يفاوض العشائر المجاورة لعشائره وبيّن لهم بأن العرب لا يمكنهم الامتزاج مع الحكومة العثمانية ولا يمكنهم ان يعيشوا تحت سيطرتها ؟ ونحن عرب لا نتمكن بأي حال من الاحوال ان نقبل حكم « اروام » لا يفهمون لغتنا ولا نفهم لغتهم لذلك يجب ان نطردهم ونؤسس لنا حكومة عربية تحكمنا » (ص ٢٨).

وارتجل الزعيم الاهازيج « الهوسات » ومنها « كلش منطاعش منطاعش » ومنها « ابدًا مطيها لا ارضيها » .

وقام بآخر ثورة ضد الاتراك حيدر آل فرعون ١٩١٠ — ١٩١٣ فقاوم الاتراك ما يقارب الاربعة اشهر فقاتلوه وعشائره بالمدافع والرشاشات فاستسلم بالقوة وسلبت اراضيه .

ولكن طغيان الاتراك سوف يعود بالوبال عليهم فينكسرون في الحرب الكونية الاولى وينسحبون من العراق فيعود آل فرعون الى عزّهم في ظل استقلال بلادهم المطلق .

العراق قديماً وحديثاً

ص ٢٥٤ قطع ٨ — مطبعة العرفان — صيدا

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

ان لصاحب الكتاب الذراع الطولى في التأليف عن العراق وتاريخه واحواله الاجتماعية والسياسية وكان له دور خطير في الحوادث التي جرت في تلك البلاد في الحرب الكونية الثانية فأقدم على نشر ما جمعه من مطالعاته وتعليماته وخبرته الشخصية وخص هذا الكتاب ببحثين قيّمين : الاول في موجز جغرافية العراق والثاني في مجمل تاريخ العراق اخذًا بالكلام عن سكانه وجباله ومعادنه وريه

وعن مدنه كبيرة او صغيرة معللاً اسماءها عن اختلاف الروايات والآراء معرفاً القراء بأوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب شائق مختصر جدير بان يطالعه كل اديب يهمه شأن البلاد العراقية ولا سيما اساتذة المدارس وقد يصلح خاصةً لمكاتبها فيطالعه الطلاب ويغترفون من موارده شتى الفوائـد في الاستعداد الى فحوصهم فنهنئ عليه المؤلف ونتمنى لكتابه الرواج الذي يستحقه.

تاريخ العراق السياسي الحديث

الجزء الاول ص٣٢٨ – الجزء الثاني ص٣٢٠ – الجزء الثالث ص٣٥٢

ثمن الجزء الواحد ٥٠٠ فلس . قطع ٨ – مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

هذا الكتاب اشبه منه بموسوعة للوثائق التي تؤدي مادةً غزيرة وافرة لوضع تاريخ البلاد العراقية في مراحلها الاخيرة ، استند فيـه صاحبه الى التحارير الرسمية والمقالات التي ظهرت في امهات الجرائد وفي المؤلفات القديمة والحديثة وعرضها مسلسلةً مع تعاقب الايام ، وما الكتاب المذكور سابقاً « العراق قديماً وحديثاً » الا خلاصة هذه المجلدات الثلاثة . ولا بد من انعام النظر فيهـا وتعريف القراء باهم محتوياتهـا مع بعض التحفظ في بت الحكم بالحوادث وتعليلاتها وهذه لن يصح تقويمها العلمي الا بعد مرور الزمان لان الالمام بها يتطلب النظرات عن بعـد لتقدير الاقوال والاعمال حق قدرها دون ان ينال الحكم فيها لوم اللائمين. اليك اولاً فقرات من الخطاب الذي افتتح به المؤلف الجزء الاول وهو لصاحب الجلالة الملك فيصل الاول . جابه الحقيقة على ما فيها من مكدرات لا يجرأ على التعبير عما توحيه من الافكار الا الملك الذي قبض على زمام الامر، فان يكشف عن جرح فلكي يهتدي وايانا الى سبيل معالجته لا ليؤلمنا . فقال (ص٥) :

« ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها اهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ، ذلك هو الوحدة الفكرية والمليّة والدينيّة فهي والحالة هذه مبعثرة القوى مقسّمة على بعضها يحتـاج ساستها الى ان يكونوا حكماء مدبّرين وفي عين الوقت اقوياء مادةً ومعنىً غـير مجلوبين لحسيات او اغراض

شخصية او طائفية او متطرفة ، يداومون على سياسة العدل والموازنة والقوة معاً ، على جانب كبير من الاحترام لتقاليد الاهالي ، لا ينقادون الى تأثرات رجعية او الى افكار متطرفة تستوجب رد الفعل .

ان في العراق افكاراً ومنازع متباينة جداً وتنقسم الى اقسام : ١ – الشبان المتجددون بما فيهم رجال الحكومة ، ٢ – المتعصبون ، ٣ – السنة ، ٤ – الشيعة ، ٥ – الاكراد ، ٦ – الاقليات غير المسلمة ، ٧ – العشائر ، ٨ – الشيوخ ، ٩ – السواد الاعظم الجاهل المستعد لقبول كل فكرة سيئة بدون مناقشة او محاكمة .

وان ما كتبه مؤسس العرش العراقي كتبه لا في القرون الماضية ولكن في عصرنا وفي زمان غير بعيد عنا في ١٥ آذار سنة ١٩٣٢ ولم يمض على كلامه اكثر من ٢١ سنة . فهل يتاح للحكيم البصير ان يرميه بحجة قديم اكل الدهر عليه وشرب ؟ هل تكون البلاد في هذه الحقبات القليلة قطعت شوطاً يجعل لكلام الملك وقعاً غير مناسب للحقيقة كما هي في يومنا ؟

لم يبت « الحسيني » الحكم في الامر فاحسن ، وترك للايام مؤونة الاصابة في تقدير مبلغ البلوغ الى الاهداف التي رمى اليها الملك وسار بكلامه مستعرضاً احوال العراق آخذاً بأوليات دوله من شمرية وعيلامية وبابليــة وآشورية وكلدانية ومادية ويونانية وفرتية وساسانية وعربية وتركمانية وصفوية وعثمانية الى عهد الاستقلال الحالي .

وفي هذه الناحية الاخيرة فسح المجال الى بحث علاقات بريطانية مع العراق فأصاب في قوله ان اسباب الاحتلال الانكليزي يؤخذ جوهرها من وضع العراق الجغرافي وخطوطه الجوية ومن غناه بالنفط ومن خصوبة اراضيه وتبادله التجاري فكانت تحقيقاً لما كان يحلم به الاجانب للامنيات التي اثارتها في خيالهم اقاصيص الف ليلة وليلة وفيها ما فيها من الاخبار الداعية الى اعتبار العراق من عهد بابل الى عهد هارون الرشيد والدولة العباسية مهــداً لحضارة الشرق الادنى ومورداً لملتقى خيرات العالم القديم في اسواقها ومرافقها التجارية .

وتكلم عن استفتاء اهالي العراق بشأن مصير بلادهم فروى عن تصريح

اي. تي. ولسن(ص٩٧) « ان اليهود طلبوا الادارة البريطانية واقتدى المسيحيون بهم » وقد كان جلالة الملك فيصل في خطابه المذكور سابقاً قد نوه بوجود الاقليات المسيحية « التي لا يجب ان نهملها نظرًا الى السياسة الدولية التي لم تزل تشجعها للمطالبة بحقوق غير هذه وتلك » (ص٧ سطر٣) واءل في الاسطر ما يعود ببعض اللوم على « اهل الذمة » بشأن مصيرهم في بلاد تدين بدين الاسلام . وقد كنا نودّ لو عاج المؤلف على هذه القضية بكلمة تبرر موقفنا نحن المسيحيين من حكامنا المسلمين لان دياننا توصينا بالخضوع مخلصين الى السلطان اياً كان ، على ان يحكمنا بالعدل والانصاف ، واذا وقف المسلمون بالجهاد في سبيل حرية بلادهم وسيادتها المطلقة فليس المسيحيون دونهم تحمساً لحرية بلادهم وسيادتها على شرط ان تمحي روح التعصب من عقول السواد وهم الاكثرية الساحقة من السكان من ينتسبون الى الحكومة ديناً ليسيطروا على من ليس من دينهم (خطاب الملك فيصل ص٦ سطر٢٣ وما بعده) فينقادون الى التأثرات الرجعية الى الافكار المتطرفة (ص٥ سطر١٤).

وان ننس فلا ننس موقف المسيحيين في لبنان سنة ١٩٣٦ في مؤتمر باريس لما طالب رؤساؤهم باستقلال بلادهم المطلق عن اية دولة اجنبية وليس المسيحيون في العراق دون اخوانهم في لبنان حريصين على سيادة بلادهم المطلقة وهم سكانها من قبل الاسلام وبعده .

ومضى السيد عبد الرزاق الحسني يحدثنا عن الثورة العراقية الكبرى مشيرًا الى المراجع التاريخية عن مواقف رجال السياسة العراقيين تجاه رجالات الانكليز طورًا في المذكرات الديبلوماسية السلمية وطورًا في القتال المسلح الى ان تم تتويج الملك فيصل ووضع القانون الاساسي العراقي .

وانتقل في الجزء الثاني من الكتاب الى الكلام عن المعاهدة العراقية والبريطانية في مراحلها الاربع وما يذيلها من الاتفاقات المدلية والعدول عن الامتيازات وفي هذه الصفحات المكتظة بذكرى الحوادث واسماء الرجال مادة تسوغ مطالعتها ويشع منها نور سيهتدي به كل من يعالج تاريخ الشرق الادنى من المؤرخين في الغد مقابلين بين عصر يزول وعصر ينشأ والبلاد تقطع بالسنين

القلائل محطات لم تقطعها على مدى القرن في الحياة الاجتماعية والسياسية وفي وعيها القومي .

واليك الجزء الثالث وفي صفحاته ٣٢ الاوليات عالج المؤلف قضية الاستقلال العراقي وجاء بنظرات قيمة فيما تطلبه البلاد لتتمتع بسيادتها الكاملة ولما فرضته عليها جمعية الامم لتجعلها في مصافها متساوية مع كبريات الدول بالحقوق والواجبات وترى ان معظم الشروط المطلوبة من العراق تتعلق بقضية الجنسيات والاقليات العنصرية والدينية واللغوية ومما جاء فيها (ص٣٤) :

« المادة الخامسة : الحق للاقليات في ان يحفظوا ويديروا ويراقبوا على نفقتهم او ان يؤسسوا في المستقبل معاهد خيرية او دينية او اجتماعية ومدارس وغير ذلك من المؤسسات التهذيبية مع حق استعمال لغتهم الخاصة وممارسة دينهم فيها بحرية .

المادة السادسة : توافق الحكومة العراقية على ان تتخذ بحق الاقليات غير المسلمة فيما يتعلق بقانونها العائلي واحوالها الشخصية كل التدابير التي تسمح بتنظيم هذه الامور وفقاً لعادات وعرف الطوائف التي تنتمي اليها هذه الاقليات .

المادة الثامنة : –٢– في المدن والجهات التي يكون فيها قسم كبير من الرعايا العراقيين ممن ينتمون الى الاقليات العنصرية او الدينية او اللغوية يؤمن لهذه الاقليات نصيب عادل من حيث التمتع بما قد يرصد من الاموال العامة بموجب ميزانية الدولة او البلديات او غيرها من الميزانيات للمقاصد التهذيبية او الدينية او الخيرية ومن حيث استعمال الاموال المذكورة .

وقال (ص ٣٦) عن حرية الضمير ان العراق يتعهد بان يؤمن ويضمن في جميع اراضيه حرية الضمير وحرية ممارسة العبادة وكذلك اعمال البعثات (الارساليات) الدينية من جميع المذاهب في الامور الدينية والمدرسية والطبية مهما كانت جنسية هذه البعثات او جنسية اعضائها » .

ومضى المؤلف يكلمنا عن الوزارات العراقية في عهد الانتداب البريطاني فكان عددها اربع عشرة وزارة . فصّل لكل واحدة منها فصلاً جاء على ذكر وزرائه وبرامج حكمهم وأعمالهم ونتائجها ، اما في عهد الاستقلال فقد

تألفت ست عشرة وزارة كان معدل حياة الوزارة الواحدة سبعة اشهر وعشرة ايام فبحث بالايجاز عن كل من هذه الوزارات مع نصوص مناهجها الوزارية وما تم في عهودها من الاعمال الى ان تكلم (ص٢٢٦) عن الاحزاب في البلاد الراقية وعن الاحزاب في العراق ثم عن الحياة النيابية والمجلس التأسيسي والمجلس النيابي وذلك بتفاصيل عديدة قد يفيد مؤرخو الغد مراجعتها للمقابلة بينها وبين ما يجري من سواها في سائر البلاد فيعللونها ويستنتجون نتائجها عبرة للزمان .

وهناك القضية الكردية وما اليها من مسائل الاشوريين والحوادث الدامية التي وقعت في تلك الايام العصيبة وعسير خوض غمارها لتمييز مواطن المسؤوليات فيها فلم يحجم المؤلف عن ابداء نظراته فيها . ان مشاكلها عويصة وتبعات ما يؤسف له من النكبات المشتركة بين الكثيرين مما لا يسع المقام التوسع به . وانتهى الكتاب في الفصل الخامس عشر وفيه المقال على حدود العراق بينها وبين تركية وايران والنجد ، ومن المعلوم ان المؤلف في سنة ١٩٤١ أبعد عن وطنه لمدة اربع سنوات في غضونها تسنى له ان يتأمل ويفكر ويعتبر واذا كتب فيقول (ص٣ الجزء الاول) قد كلفتنا صياغة بعض هذه الفصول جهداً كبيراً وصولاً الى الحقيقة مهما كانت مرة او حلوة . وقال بتحفظ وتواضع يستحق الثناء «ان بيننا وبين النضوج العلمي الذي يتطلبه القرن العشرين مراحل لا يتسنى قطعها بيسر » ، وتمثل بشعر معروف الرصافي :

فما كتب التاريخ في كل ما روت لقرائها الا حديث ملفق
نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا فكيف بأمر الغابرين نصدق ؟

مما يزيد ما قلناه سابقاً ان البعد في الزمان لا بد منه للالمام بسائر اطراف الحوادث وعللها ونتائجها للوقوف على الحقيقة التاريخية بقدم ثابتة لا تخشى الذلل

الثورة العراقية الكبرى

ص ٢٧٢ قطع ٨ – مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٧١هـ ١٩٥٢م ثمنه ٥٠٠ فلس

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني

هذا الكتاب فيه خلاصة المؤلف المذكور سابقاً « تاريخ العراق السياسي الحديث »وفيه تعليمات جديدة عن الحركة الداخلية التي قامت بها الجمعيات السرية

وعن اثرها في الثورة العراقية فيرى المؤلف ان المحدثين احجموا عن الخوض في تاريخها اما الانكليز فلم يكتب عنها احدهم كتاباً الا الجنرال هالدن Haldane وكان قليل الخبرة بأهداف البلاد الوطنية ففاجأته اخبار الثورة عن غير استعداد لها وأتهم بالتقصير في تتمة واجبه ؛ الا ان السيد عبد الرزاق استفاد من كتاب هالدن واستند الى غير ذلك من المصادر ومن التعليات شأنه فيا تكلمنا عنه من مؤلفاته وذهب يعرفنا خاصة برجالات العراق من اعيان ومشايخ وزعماء قبائل ولكثيرين صورهم في الكتاب وذكر تفاصيل المارك وما مني فيها الطرفان من جرحى وقتلى فدوّن للخلف اخباراً يعول عليها الخاصة من المؤرخين ويستطيبها عامة القراء .

تاريخ نصارى العراق

منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا

مطبعة المنصور – بغداد ١٩٤٨ ص١٨٨ قطع ٨

تأليف رفائيل بابو اسحق .

وهل من محل لهذا الكتاب بين الكتب التي وصفناها وفي مئات الصفحات منها لا يكاد يكون للنصارى ذكرٌ او اذا ذكروا فذكروا بين الاقليات من يهود واكراد ويزيدية وصابئة واذا ظهر بينهم « الاخطل » العربي شاعر بني امية النصراني اوخذت الحكومة العراقية بتسمية شارع من شوارع بغداد باسمه لانه « هجا العرب والمسلمين »[1] ولكن قال المؤلف في المقدمة :

« ان نصارى العراق لمن سكانه القدامى . وقد شاركوا مواطنيهم في السراء والضراء . وما برحوا الى اليوم يشاركونهم في الضيق والرفاه . فخدموا الوطن ورفعوا منار العلم ومهّدوا وسائل التهذيب . ومنذ القرون الاولى للميلاد جروا في حلبة المعارف وتسابقوا في ميدان الصناعات . فتضلعوا من العلوم وشادوا المدارس واقاموا المستشفيات .وفي الوقت نفسه نبغ منهم العلماء والاطباء والفلاسفة الذين لا تزال مصنفاتهم الى اليوم مورداً تستمد منه الافهام والاقلام.»

---

١) راجع الكتاب الموصوف سابقاً «الحقائق الناصعة» (ص٧) .

تكلم المؤلف عن تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في اقطاره الى ايامنا ملخصاً تقلبات احوالهم الاجتماعية والادبية والاقتصادية عصراً عصراً. وما قاسوا من اهوال المحن في مطاوي السنين . وذكر اشهر كتابهم في عالم الادب وما صنفوا من الاسفار النفيسة وبيّن خدماتهم في سبيل تقدم العلوم وما اتوا من الاعمال الخالدة لخير الانسانية معتمداً على اصدق الكتب مشيراً الى اخص مراجعها .

فله الشكر فيما ابداه من الاجتهاد وفيما يعود منه على خير البلاد بتشجيع سكانها المسيحيين على متابرة العمل في سبيل عمران العراق وتوحيد صفوف السكان تحت راية ملوكهم العظام .

ليالي السمر

ص ٩٦ قطع ١٣ كبير – المطبعة العصرية – حله ، العراق ١٣٧٠ﻫ ١٩٥١م

تأليف عبد الصاحب عبيد الحلي

هذا ديوان زجلي او في الشعر العامي ضم فيه المؤلف الى شعره عدة قصائد لشعراء العراق المحدثين . . . وفيه محاسن اللغة العامية العراقية وما فيها من الفاظ وتعابير شعبية تروق دراستها الباحثين في هذه الناحية من اللغة العربية. اما معانيه فاراني مختاراً في الكلام عنها واكثرها يذكرنا بعصر المجون والسكر وبأهل صادوم . وقد نتمنى لهذا الجيل الناهض النمي ١٠ وراء الفن الشعري الموسيقي الباعث الى رفع القلوب عن الملذات اللحمية الى جو الفن الذي يسبح فيه العالم المتمدن وما احوجنا الى فنانين يأخذون بمذاهب الموسيقى على اصولها ويعلّمون عليها الممثلين والمغنين في المسارح فتكون مدرسة للشعب . ومما يؤلم قراءته ان العاطفة الدينية لم تنطفئ في هذا الكتيب وقد ينم عنها شيء من الشعر كهذا وفيه وصف ليله وانت اعلم بمن هي ليله :

ليله مريم العذره اشما (كيفما) توصف بلوك (يليق) الها (لها)

انشد الشاعر شعره الكفري وهو مع ذلك مؤمن بالله وباليوم الاخير وقد قال (ص٦١ سطر٩) :

« لو ما اكو يوم الحساب واخشى النار . . . لاعبدها »

ولو كان غير مزمن لاحتج بالحاده في الكتابة عن عبادة المخلوق دون الخالق وبئس العبادة هي .

ميزانية الدولة العراقية

تحضيرها وتحليلها – تأليف احمد عبد الباقي ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م

طبع بدار الكتاب العربي بمصر ص ١٦١ قطع ٨ كبير ، منشورات مكتبة المثنى

قال المؤلف (ص٣) « لا تزال اكثر مشاكل بلادنا غير مبحوث فيها باسلوب علمي يضع صورة واقعية صحيحة لها » فكان دأبه سدّ شيئاً من هذا الخلل فحاول دراسة الميزانية العراقية وقد رجع بها الى المصادر الاوليــة من اللوائح والقوانين والتقارير الرسمية في القانون الاساسي العراقي وفي النظام الداخلي لمجلس النواب وفي تقارير لجن الامور المالية من السنة ١٩٣٢ الى ١٩٤٤ فبحث اولاً شؤون الميزانية على العموم في اهميتها وتنظيمها وفي طرق تخمين المدخولات والمصروفات وفي تأثير الاعمال العمرانية فيها والحق درسه بالكلام على ميزانية الاوقاف وعلى الحركة الاقتصادية في مديرية السكك الحديدية وفي ادارة ميناء البصرة وفي حفر سدّ الفاد وفي الاعمال العمرانية المتعلقة بالري وطرق المواصلات وتشييد الابنية الحكومية ومدّ الخطوط التلفونية وغير ذلك. ومما يلفت النظر ان حصة الحكومة من شركة النفط كانت وسيلة فعالة لا يستهان بها لتغطية العجز في المالية في النفقات .

وافاد كثيراً بضرب الجداول المفصلة للدخولات والمصروفــات فاسترعى نظر الخاصة من الباحثين وقرب الى العامة معرفة احوال البلاد المالية فتتفاءل في شؤونها اذا قابلت بين ارقام وارقام على تعاقب السنين فترى مثالاً في ذلك ان في السنة ١٩٣٢ كانت المدخولات بالدنانير ٤٢١٥٤٤١٥ والمصروفــات ٣٦٩١٨٧٦٤ وفي السنة ١٩٤٠ كانت المدخولات ٩٨٥٤٣٣٨ والمصروفــات ٩٨٥٤٣٣٩ مما يدل على زيادة ثروة البلاد مع ترقيها في سبل العمران. فنشكر للمؤلف بحثه ونتمنى للقطر الشقيق اطراد النجاح الاقتصادي دعامــة للنجاح في سائر انحاء الحياة الادبية والروحية .

طبيعة الانسان في الطفل وتطورها مذهب الزاوي المتعرض لآراء الباحثين في هذه الناحية فيفيدنا الاطلاع عليها تثقفاً وجدالاً لكن كثرة الاراء وتعداد الاسماء الاجنبية المستعجمة على القارئ العربي تنشي صفحات المؤلف بغشاء اشبه منه بالضباب الانكليزي وليست المصطلحات اللغوية التي جاء بها المعرب لتعريب الالفاظ المختصة بهذا النوع من الفن لتفك المعاني المعقدة في الاصل . ولم يفِ صفاف الحروف العربية بما يطلب منه من الاتقان في ضبط الحروف ولا تكاد صفحة من الكتاب تخلو من حرف مشوه مما يزيد في صعوبة مطالعته .

جاء في ص٢١٩ : عن «الدعاية» انها «جهد منظم لاذاعة المذاهب الجديدة ولكسب الاتباع والمشايعين » وعُلّق على الكلام في ذيل الصفحة بهذه العبارة « وردت هذه الكلمة في عنوان مؤسسة كاثوليكية (١٦٢٢) Congregatio de » Propaganda لتذيع ما ترى لجنة من الكاردينالات انه صحيح » . وهذا خطأ لانه بتر كلمة (fide) من آخر العبارة المذكورة وهذه الكلمة جوهرية لفهم المعنى وليست البروباغانده « دعاية » بل هي جمعية لنشر الايمان في البلاد الغير المسيحية اسسها البابا اكليمنضوس الثامن سنة ١٥٩٧ ونظمها البابا غريغوريوس الثامن عشر سنة ١٦٢٢ للتبشير بالانجيل .

على ان الخلل العظيم في هذا الكتاب هو انه يتناول بحث تربية الانسان المتطور بطبيعته ويغفل عن كون لهذا الانسان غاية قصوى وهو الله ولا يقدر حق قدرها القيم الروحانية في التهذيب .

واذا لفت النظر الى التربية الدينية « وحالتها السيئة » قال : « وايس هناك من امل لعلاج هذه الكارثة حتى يمكن تحليل جوهر الدين وتاريخ تطوره باعتباره ضرباً من النشاط الطبيعي للنفس الانسانية ، تحليلاً صحيحاً . وحتى توضع اصول لتعليمه قائمة على التحليل ثم تطبق هذه الاصول بمجالس وجرأة » (ص ٣٦٦) فنرى من كلام المؤلف انه لم يتثبت بعد في المبادئ الدينية تثبت اليقين وهذه النتيجة انما هي التي تؤدي اليها التربية البروتستانتية ... فنشأ منها الانسان ... « على بياض » من كل عقيدة . وان نختم بوصف هذا الكتاب كلامنا عن « التاريخ وما اليه » فلسنا نخرج عن الموضوع لان التربية تمهد السبيل الى الاعمال والحوادث والايام التي يتكون منها التاريخ .

مكتبة صادر

اهدت مكتبة صادر الى ادارة مجلة المشرق الكتب التالية :

من العقد الفريد الجزء ١٦ : الكتابة والكتاب
الاجزاء ١٧ ، ١٨ ، ١٩ : اخبار الخلفاء
الجزء ٢٠ : امراء المسلمين
الجزآن ٢١ ، ٢٢ : ايام العرب
الجزآن ٢٣ ، ٢٤ : طرائف الشعراء
الجزء ٢٥ : الاعاريض والقوافي
الجزء ٢٦ : الثناء والمنثور

تحقيق وشرح كرم البستاني

الموزع الوحيد : المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

مكتبة دار المعارف

عمر الخيّام : رباعيات – تعريب وديع البستاني

حبيب صادر : صحة الطفل

الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج : الورقة لابي عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح

الدكتور شارل بلوندل : المدخل الى علم النفس الجماعي – تعريب الدكتور حكمة هاشم

عباس محمود العقّاد : ابن رشد

حنا الفاخوري : الجاحظ

عادل غضبان : الشيخ نجيب الحدّاد

شارع مسبيرو بالقاهرة — مصر